الطفل
بين التربية والعدوان

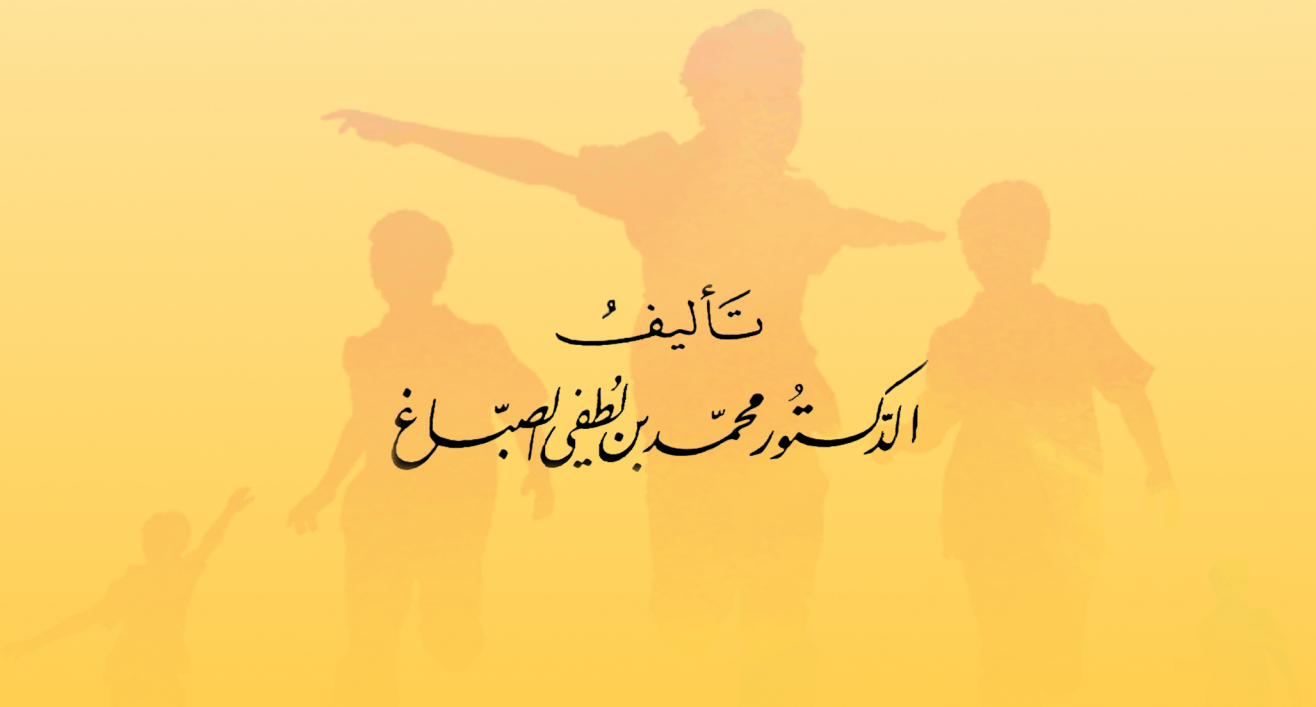

تأليف
الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

الطفل
بين التربية والعدوان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الطفل
بين التربية والعدوان

تأليف
الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الاسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. منْ يهده الله فلا مضلَّ له، ومنْ يضللْ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾.

أمّا بعد،

فهذا الكتاب يبحث في العدوان على الأطفال والاعتداء عليهم نفسياً وجسمياً وجنسياً وانزلاق الحضارة المادية إلى هذا الدرك البهيمي بحثاً عن المتعة واللذة، ويوضح موقف الإسلام من

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأطفال ورعايتهم وتوجيه النبيّ ﷺ لرعايتهم والتوصية بهم، ويخص منهم البنات اللواتي كنَّ مظلومات وكانت حقوقهم مهدورة، وكذلك الأيتام. وواجب الوالدين تجاههم.

وقد كان سيدي الوالد رحمه الله وغفر له وأنزله منازل الصديقين قد أعدَّ هذا الكتاب للطبع من سنوات، ولم يُفسح له في الأجل ليخرجه في حياته. فأكملت مراجعة الكتاب وتجهيزه للطباعة.

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه لطفي بن محمد الصبّاغ
الرياض في ٠٥ شعبان ١٤٤٠هـ
الموافق ١٠ نيسان ٢٠١٩م

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد

إنّ العدوان على الطفل يتجلى في أمور كثيرة منها ما سنورده من الظلم والضرب والتجويع وممارسة الفواحش مع هؤلاء الأطفال الأبرياء .. نورده موثقاً

وهناك ألوان من العدوان أخرى:

منها إفساد فطرة هؤلاء الأولاد بأن نتركهم لرفقاء السوء، فيفسدون أخلاقهم، ولدعاة الضلال فيضلونهم ويردوهم.

إنَّ الأب الذي لا يقوم بتربية أولاده التربية الإسلامية أبٌ يسيء إلى نفسه أولاً ثم يسيء إلى ولده أيضاً ثم إلى مجتمعه.

إنَّ غرس العقيدة الصحيحة في نفس الطفل أكبر واجب على الوالدين وهما مسؤولان عن ذلك بين يدي الله «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

أعرف رجلاً مثقفاً سألته مرة كيف أنت ؟

قال: أنا مهتم بأولادي أعمل ما وسعني العمل ليكونوا أطباء ومهندسين فيكونوا أثرياء سعداء. فكانوا كما أراد، ولكن هذا المسكين لم يلتفت إلى دينهم ولا إلى أخلاقهم .. فما فعل هذا الأب إلّا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن سهل لهم سلوك سبيل النار والعياذ بالله؛ لأنّ المرء إذا خسر دينه وخلقه كان الخاسر حقاً ولو كان من أكبر العلماء ومن أغنى الأثرياء.

وقد أعددت هذا البحث من سنوات ولذا فقد تبدو الأخبار فيه متقدمة ولكنني أود أن أوكد أنّ الأمر متجه نحو التزايد الفظيع. والمهم تقرير الحقيقة والاتعاظ بواقع القوم هناك، والعاقل من اتعظ بغيره.

وأحببت أن أكتب كلمة أحذر فيها أبناء أمتي من الخطر الكبير الذي يتهددها، وسأورد عرضاً لبعض ما وقفت عليه واطلعت عليه في الصحف والكتب، ثم أذكر بعد ذلك هدي الإسلام العظيم في التعامل مع الأطفال. سائلاً الله أن يوفق المسلمين إلى الأخذ بأسباب النجاة والله ولي التوفيق.

كتبه محمد بن لطفي الصبّاغ
الرياض في ١٧ صفر ١٤٢٩هـ
الموافق ٢٤ شباط ٢٠٠٨م

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تجارة الجنس

وقد ظهرت مصطلحات تدل على أعمال خالية من الشرف والحسّ الإنساني مثل (تجارة الجنس) التي تنتشر في كثير من البلاد الفقيرة.

ونشرت "مجلة المجتمع"[1] ما فحواه:

تشير تقارير عديدة إلى أنَّ (تجارة الجنس) تنتشر بشكل مرعبٍ في جنوبي شرق أسيا. وتشمل أطفالاً من الذكور والإناث لا تتجاوز أعمار الجميع ـ في بعض الأحيان ـ ثماني سنوات، يختطف بعضهم من قبل عملاء بيوت الدعارة.

ويشترى بعضهم بحفنة ضئيلة من الدولارات من أجل العبودية الجنسية.

أقول: أين هذا من الرقيق في الزمن المتقدم؟

وقال تقريرٌ نشرته مؤخرًا الحكومة النرويجية، وقُدّم إلى لجنة الأمم المتحدة حول العبودية الجنسية:

إنَّ عدد ضحايا هذِه التجارة يزيد عن مليون فتاة في سنّ الأطفال، يجري إغراؤهن أو بيعهن أو إجبارهنّ على ممارسة الدعارة في مختلف أنحاء العالم سنويًا.

---

(١) العدد ١١٨ الصادر في ٣/ ٩/ ١٤١٦هـ (٢٣/ ١/ ١٩٩٦م).

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

وذكر التقرير أن عدد الفتيات اللاتي يجبرن على ممارسة الدعارة في كولومبيا ازداد كثيراً في السنوات الأخيرة.

وأنّ عددهن في البرازيل بلغ نحو مليون فتاة في سن الأطفال.

وأنّ عددهن في تايلاند بلغ مليوني فتاة، منهن ٨٠٠ ألف دون سن السادسة عشرة.

وأنّ عددهن في الهند بلغ ٣٠٠ ألف في سنّ الأطفال.

وكذا الوضع في الفلبين وسيرلانكا.

وقد أظهرت دراسة في بانكوك أن ٣٠٪ من الفتيات يتاجر بهن أناس منحطون لا فرق بينهم وبين الحيوانات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عدوان الأهل على الأطفال الأبرياء جنسيا وغذائيا وبالضرب

شيء مذهل حقاً أن يقوم الأهل بالاعتداء على أولادهم جنسياً والفظيع المدهش أن يكون المعتدون هم الآباء والأمهات.

فقد نشرت جريدة "الراية" القطرية[1] أن زوجين أمريكيين يعتديان جنسيًا على أولادهما وقالت:

[أعلن مصدر قضائي أن زوجين من شيكاغو بولاية إيلينوي الأمريكية أُدينا بالاعتداء جنسيًا على أولادهما الأربعة وتخديرهم وإطعامهم جرذانًا مقلية وصراصير مسلوقة. ونقلت صحيفة "شيكاغو تريبيون" عن أحد القضاة قوله: إنّ الأولاد هم: صبي في الخامسة من العمر وثلاث فتيات أعمارهن ١٠ و ١١ و ١٢ عاماً أُرغموا على ممارسة الجنس مع والديهم .. وكان الوالدان يخدران أولادهما بواسطة الحقن بمادة الكوكايين، واستمرت فترة تعذيب الأولاد خمس سنوات بين ١٩٨٩م و١٩٩٤م].

أليس هذان الوالدان أحط من الحيوانات التي ترعى أولادها وتدافع عنهم؟

* * *

(١) العدد الصادر في ١٩/ ٩/ ١٤١٦هـ (٨/ ٢/ ١٩٩٦م).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن هذا القبيل ما يعرف بأفلام الموت[1] وهي شرائط فيديو تحوي مشاهد أطفال تتراوح أعمارهم بين ١٣ و١٠ أعوام ممن ترتكب بحقهم جرائم شنعاء أخلاقياً وإنسانياً، والتمثيل بهم في عمليات سادية مروعة قبل أن يقتلوا على أيدي جلاديهم من العصابات الداعرة.

وتباع هذه الأفلام في أوربا وأمريكا الشمالية بأسعار غالية تصل مبيعاتها السنوية إلى ٣٣ مليار دولار، وهي قائمة على العنف والجنس، وتزدهر في إيطاليا سوق هذه الأفلام القذرة، وفيها أفلام لأطفال إيطاليين من الجنسين، ولأطفال أجانب مهربين من مواقع الكوارث، وفي مقدمتها حرب البوسنة والهرسك، وبعض دول أوربا الشرقية وعلى الأخص ألبانيا ورومانيا، حيث يباع أولئك الأطفال لتجار الرق، يهربونهم إلى داخل الأراضي الإيطالية لاستخدامهم في أعمال الدعارة بعد تصوير عدد كبير من الأفلام وإصدار مجلات لمشاهد فاضحة لهم مع بالغين.

ويروي المحققون من المركز المكلف إجراء تحقيق في السوق الإيطالية نيابة عن منظمة (اليونيسيف) الدولية للشرق الأوسط أنَّ الأطفال

---

(١) "جريدة الشرق الأوسط" العدد الصادر في ٢٣/ ٩/ ١٤١٦هـ (١١/ ٢/ ١٩٩٦م) تقرير لمراسلها من ميلانو الايطالية يتحدث فيه عن شبكة دولية توزع هذه الأفلام.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

المستخدمين في هذه الأفلام يسخرون للعمل أياماً بأكملها في ظروف من القسوة البالغة أمام الكاميرات..

إنّ أفلام الموت الحقيقي تنتهي عادة بمشاهد سادية مروعة للتعذيب وإراقة الدماء لأطفال لم تتعد أعمارُهم سن العشرة أعوام.

ومثل هذه الجرائم ليست حيلا سينمائية بل هي مشاهد فعلية لعمليات تمثيل وتعذيب وقتل بآلات حادة وسكاكين، وعدوان على الأعضاء الحساسة وهذا يفضي إلى الموت بسبب تسرب كمية كبيرة من الدم.

ومن المؤسف أنّ هذه الأفلام المروعة تباع في إيطاليا ومعظم الدول الأوربية تحت طائلة عقوبات تتراوح شدتها بين بلد وآخر .. إلا أن تلك السوق ما تزال تتوسع وفقاً لمنظمة (اليونيسيف).

أقول: ما كنت أتصور أنَّ الإنسان المعاصر انحدر إلى هذه الدركة المنحطة من الشعور والإحساس. ألا يستحي رجال السياسة في أوربا وأمريكا الذين يهاجمون الإرهاب من هذا الموقف الصامت المخزي الذي يقفونه من هذه الهمجية البشعة؟ أطفال يختطفون ويُشترون لممارسة أقبح ألوان اللواط والزنا معهم، ثم يقتلون بعد أن يمثل بهم، ويسجل ذلك كله في أفلام تباع وتروج تجارتها.

إنهم يدينون المقاومين الفلسطينيين في الضفة وغزة ويصمون

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقاومتهم بالإرهاب وتطول ألسنتهم في المجامع الدولية بشجب هذا الإرهاب وليس بإرهاب .. إنه مقاومة لعدو احتلّ بلدهم وأخرجهم من دورهم وهدم ديارهم. ولا يدينون هذه الوحشية القذرة!!

أين منظمات حقوق الإنسان؟

هذا الطفل البريء أليس له حقوق الإنسان التي يجب أن تصان؟

وذكرت "جريدة الشرق الأوسط"[(١)] أنّ حوالي مليوني طفل في روسيا لا تتجاوز أعمارهم الرابعة عشرة يتعرضون لإيذاء والديهم، ويلقى ١٥٪ منهم حتفهم. وينتحر منهم ألفا طفل. وذكر الطبيب المختص بالأطفال هناك أنه لا يجوز السكوت عن الجرائم البشعة التي يرتكبها الآباء والأمهات بحق أطفالهم. وتحدث الطبيب عن صبية في الثامنة من عمرها ضربها أبوها بالبلطة على رأسها في أثناء شجار مع أمها التي أصيبت بالبلطة في كتفها أيضًا. وقد شفيت الأم لكن الطفلة بقيت عدة شهور في المستشفى وأُجريت لها عدة عمليات في الدماغ. وجرت محاكمة الأب المخمور وصدر عليه الحكم بالسجن مدة عشرة أعوام. وبقيت الطفلة لا مستقبل لها، هذا إن كتبت لها الحياة.

وذكر هذا الطبيب أنَّ الوالدين لا يقولان الحقيقة عمَّا حدث للطفل، وذكر بعض الأمثلة:

---

(١) العدد الصادر في ٨/ ١٠/ ١٤١٦هـ (٢٧/ ٢/ ١٩٩٦م).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

- جاءت امرأة بصبي في حالة إغماء مستمر، وذكرت أُمُه أنه سقط من الكرسي، لكن لدى فحصه تبيّن وجود إصابات في الكبد والطحال بسبب الاعتداء عليه بالضرب، وليس لسقوطه من الكرسي.
- وجاءت امرأة مع صبيٍّ في الرابعة من العمر مصابٍ في رأسه، فزعمت أنه تزحلق وارتطم رأسه ببطارية التدفئة. ولكن تبين فيما بعد أنها كانت في وليمة وجاءت إلى روضة الأطفال وهي مخمورة لتصطحب ابنها إلى البيت، فلما وصلت إلى البيت طلب منها ابنها أن يأكل، فما كان منها إلا أن رمته بعيداً عنها، فارتطم ببطارية التدفئة وجرح رأسه.
- وهذا صبي جاء من المدرسة إلى بيته، فلما رأى أبوه وهو ـ شرطي ـ علاماته سيئة قام بسجن ولده الصغير وضربه، وكذلك فإنّ أم هذا الطفل كانت تضربه أيضاً لأتفه الأسباب، وحدث مرة أن كسر فكه نتيجة لضربه العنيف، فكان أقرانه يسخرون من منظره، وبعد ذلك جُلِبَ هذا الطفل إلى المستشفى في حالة يرثى لها لأنّ أباه الشرطي ضربه بالحزام ذي الإبزيم المعدني الثقيل الذي يترك آثاره على جسد الصغير الرقيق البشرة.

ومن العدوان على الأطفال إلقاؤهم في الآبار والأنهار والمجاري والطرقات، وكذلك قتلهم أجنة وهم في بطون أمهاتهم:

وهذا اللون من العدوان شاع في بلاد المسلمين وا أسفاه.

فيرى المرء لفافة ملقاة على باب المسجد وفيها طفل ولد من نحو ساعة، فيلتقطها ملتقط ويأخذها إلى دوائر مختصة أو إلى الشرطة. وهذا أمر مشاهد. وسببه في الغالب الزنا والعياذ بالله، وقد يكون الفقر.

فقد نشرت "جريدة الشرق الأوسط" في عدد ٢٩/ ١٢/ ١٩٨٣م خبراً عنوانه: [نساء زيمبابوي يلقين بأطفالهن في المجاري والآبار والأنهار]. وجاء في هذا الخبر:

[وإذا كان مجتمع زيمبابوي يعتز بالقيم الأسرية واحترام الروابط الاجتماعية، فقد جاء انتشار ظاهرة التخلص من الأطفال بمثابة صدمة حادة ومفزعة للسلطات .. وقد باتت قصص إلقاء الأطفال الرضّع على قارعة الطريق حديث النّاس ومصدر فزع للسلطات.

فلقد عُثر على طفل رضيع تحت المطر المنهمر على مقربة من أحد المراكز الصحية في هاراري، وفي اليوم التالي أنقذ الجيران طفلاً آخر أُلقي في حفرة على جانب الطريق وكان صراخ الطفل سببًا في نجاته. وفي اليوم الثالث لم تكتف الأم بترك طفلها والانصراف بل خنقته ودفنت جثَّته ..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي بيان ألقاه رئيس الوزراء موغابي أوضح أن أجهزة الشرطة تلتقط الأطفال من الشوارع أسبوعياً وفي كل أنحاء البلاد، وأشار موغابي إلى أن أجهزة البوليس عثرت على أطفال آخرين في المراحيض العامة وفي أنابيب الصرف الصحي والآبار].

ومن العدوان على الطفل قتله وهو في بطن أمه عن طريق الإجهاض.

فقد كتبت د. ديمة طارق طهبوب في "جريدة السبيل الأردنية"[(١)] كلمة بعنوان: [إنهم يقتلون الأطفال] قالت فيها:

في إحصائياتها الصادرة عام ٢٠٠٧م كشفت وزارة الصحة البريطانية أنّ عدد الأطفال الذين تمّ إجهاضهم في بريطانيا في الأربعين سنة الماضية بلغ ستة ملايين وسبع مئة طفل.

وفي أمريكا بلغ أربعين مليون طفل.

وذلك منذ أُقر قانون الإجهاض الجديد عام ١٩٦٧م والذي يسمح للأم بإجهاض الجنين من اليوم الأول للحمل وحتى بلوغه أربعاً وعشرين أسبوعاً، أي ما يقارب ستة أشهر.

هذا وقد قرر الإمام الغزالي أن الإجهاض جناية وذكر له مراتب فقال:

[- وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة

---

(١) العدد ٩٣٢ الصادر في ١٠ تموز سنة ٢٠٠٩م.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية.

- فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش.
- وإن نفخ فيه الروح واستقرت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً.
- ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حياً].[1]

وهذه الأرقام للأطفال الذين تمّ إجهاضهم تعادل تعداد سكان دولة بأكملها. والعجيب في الأمر أنّ هذه الدول المتقدمة هي ذاتها التي تنظر شزراً إلى الدول العربية وتعتبرها متخلفة في مجال رعاية الأم والطفل، وتفرض عليها التوقيع على المعاهدات الدولية وتطبيقها، وتفرض عليها حضور المؤتمرات للنهوض بمؤسسة الأسرة وشؤون المرأة في بلادنا، ولكن لا أحد يحاسبها على إزهاق أرواح هذه الأعداد المهولة من الأطفال بحجة الحرية الشخصية واحترام القرارات الفردية.

لقد أخرجت بي بي سي عام ١٩٨٥م فلماً وثائقياً عن إجهاض الأطفال، بطله جنين عمره اثنا عشر أسبوعاً يصدر عنه صراخ يقطع نياط القلوب، وهو يحاول الهرب من أجهزة الطبيب التي تحاول قتله.

حتى أنّ الفلم أحدث ضجة واسعة على صعيد المؤسسات الدينية والأسرية والاجتماعية، ولكنها لم تساهم في تغيير قانون الإجهاض أو حتى تعديله.

---

(١) "إحياء علوم الدين" ٢/ ٥٣.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ مثل هذه المواقف تدعونا لإعادة النظر في المؤسسات والاتفاقيات والمؤتمرات الدخيلة علينا.

ونشرت "مجلة المجتمع"[(١)] ملفا مذهلًا عن هذه الجرائم ذكرت فيه أنّ الدول الغربية تهبط إلى الدرك الأسفل من الانحطاط الأخلاقي:

جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال في الغرب:

[المعلومات الواردة في هذا الملف يقشعر لها بدن كلُ مسلم، ويذهل لها كل صاحب مروءة، كما أنها تكشف هالة الزيف والخداع التي يعيش فيها المجتمع الغربي، الذي يسعى بعض بني جلدتنا للترويج له والدعوة إليه، وتؤكد أن الحضارة ليست في التقنيات أو التقدم التكنولوجي أو الصناعي الذي يعيشه الغرب، ولكن الحضارة تتمثل في قدرة الإنسان على أن يصل إلى الغاية التي خلقه الله ﷻ لتحقيقها وَفْقَ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أما أن يدمر الإنسان الطفولة، ويهوي بالآدمية إلى هذا الدرك الأسفل من الانحطاط الأخلاقي، ثم يدّعي أنه الأكثر تقدماً، والأقوى حضارةً، فهذا ما لا يمكن أن يكون.

ولذلك فإنّ هذه المعطيات تؤكد على أنَّ الغربَ يحمل بذور فنائه في ظلال هذا الانحطاط الأخلاقي والانهيار الإنساني مهما بلغت درجة التطور التقني أو التكنولوجي الذي يعيشه.

---

(١) العدد الصادر في ١١/ ٥/ ١٤١٧هـ (٢٤/ ٩/ ١٩٩٦).

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالأطفال هم أجيال المستقبل والامتداد الطبيعي للنمو الإنساني والتواصل البشري. وعلى قدر الرعاية لهم والاهتمام بهم يكون رقي الأمم وتقدمها، وعلى قدر إهمالهم وتدميرهم يكون انهيار الأمم وانحطاطها، وإن أخطر عمليات التدمير التي تتم للأطفال في الغرب هو التدمير الخلقي والجنسي .. وفي هذا الملف تسلط الأضواء على هذه الجرائم الخطيرة ودورها في التمهيد لانهيار المجتمعات الغربية .. فإلى صفحات الملف..

جرائم الاعتداء الجنسي والجسدي على الأطفال في الغرب

الساعة الآن السابعة مساءً .. وجميع خطوط الهاتف مشغولة. وفي مقاطعة ويلز هناك مكالمة من الطفلة دون (١٤ سنة) التي تعتقد أنها حامل من عمها، ومن اسكوتلندا هناك مكالمة ثانية من طفلة ابتلعت حبوبًا منومة كي تنتحر .. ومن لندن استغرقت مكالمة الطفل راج حوالي نصف ساعة يشرح فيها كيف أنه اضطر إلى بيع جسده من أجل المال كي يوفر مصاريف نفقة إقامته في الشارع بعد أن هرب من بيت زوج أمه الذي كان يوسعه ضربًا.

هذه نماذج واقعية من المكالمات التي تصل يومياً على خطوط التليفون المجانية لخدمة الأطفال(**Child Helptine**) وهي مؤسسة خيرية توفر خدمات استشارية لمدة أربع وعشرين ساعة يوميا من خلال مكالمات هاتفية من الأطفال الذين تعرضوا لأي نوع من الاعتداء الجنسي أو الجسدي، وتتلقى هذه المؤسسة التي تصل تكاليف خدماتها إلى أربعة ملايين جنيه إسترليني سنوياً أكثر من ثلاثة آلاف مكالمة يومياً، غير المكالمات التي لا تصل بسبب إشغال الخطوط.

وإلى جانب خدمات هذه المؤسسة التي تعتمد على التبرعات هناك ما يزيد عن ست عشرة مؤسسة أخرى لرعاية الأطفال، وتقديم الخدمات إليهم، منها مؤسسة (**BAC**) وتوفر قائمة بأسماء الاستشاريين

والأطباء النفسيين لضحايا الاعتداء، و(**Baspan**) وتقدم الأبحاث عن حالات الأطفال الذين أهملتهم أسرهم، إضافة إلى تدريب الكوادر للتعامل مع الأطفال المتضررين نفسياً واجتماعياً، و(**Kidsape**) المهتمة بأمن الأطفال والحفاظ عليهم من التعرض للضرب أو الإهانة، وتتعاون هذه المؤسسة الخيرية مع الشرطة والمدرسين والإخصائيين الاجتماعيين ومؤسسات كثيرة مثل: (**NCB**) و(**NHC**) و(**NYA**).

وقد التقت "المجتمع" مع جووي تايس ـ أحد العاملين في مؤسسة (الجمعية الدولية لمنع الإساءة إلى الأطفال (**NSPCC**)) ـ كي تتعرف على طبيعة عمل المؤسسة وطبيعة خدماتها التي تقدمها إلى الأطفال الضحايا، فأوضح تايس أنّ المؤسسة تتلقى ما بين ستين إلى سبعين الف مكالمة سنوياً من أطفال يعانون من مشاكل متعددة مثل: الاعتداء الجنسي، أو البدني، أو التعرض إلى الإهمال، إضافة إلى مشاكل نفسية أخرى.

وحول حالات الاعتداء قال تايس: إنه من الصعب حصر نسبة معينة، ولكننا نستطيع أن نقول: إنّ واحداً من بين ستة أطفال قد تعرض لنوع من أنواع الاعتداء الجنسي.

ويضيف تايس بأنّ المؤسسة تقدم كافة الخدمات الاستشارية إلى الأطفال المتضررين أو من يعنيهم الأمر، وهناك فرق عمل وحوالي ٤٤ بحثاً بميزانيات معينة لدراسة أوضاع الأطفال الصحية والنفسية.

وعن نسبة الخدمات التي توفرها المؤسسة أفاد تايس بأنها تتوزع على النحو الآتي:

٣٦٪ للاعتداءات الجسـدية.

و٢٨٪ لحالات الإهمـال.

و١٧٪ للاعتداءات الجنسية.

و٩٪ للأمراض النفسية.

و١٠٪ للحالات الأخرى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاعتداءات الجنسية

يعني مصطلح الاعتداء الجنسي أشياء متعددة منها : إرغام الطفل على الخضوع لأوضاع أو مواقف جنسية معينة، أو إرغامه على النظر إلى الصور الفاضحة، أو توجيه ألفاظ ذات إيحاء جنسي إليه، أو لمسه في أماكن حساسة، أو إرغامه على ممارسة الجنس.

وتشير إحصائيات تقرير هاتف خدمة الطفل السنوي لعام ١٩٩٥م إلى أن عدد الأطفال الذين تعرضوا للاعتداء الجنسي وصل إلى حوالي ١٠٩٤٢ طفلًا، وأن ٩٦٪ من هذا العدد تعرضوا للاعتداء من أناس يعرفونهم : ٥٦٪ من الآباء والإخوة أو الأخوات، والبقية من أقرباء آخرين أو جيران أو أصدقاء.

ومن العدد الذي تعرض إلى الاعتداء من أحد أفراد الأسرة، ٧٨٪ منهم كان عن طريق الأب، ومن هو في مكانته كزوج الأم عندما تكون نائمة في البيت ساعة حصول الاعتداء، أما نسبة الذين يتعرضون للاعتداء من خلال الأم، فيصل إلى ٤٪، و١٪ من الأطفال يتعرضون للاعتداء من خلال الأب والأم معاً.

وهناك ممارسات كثيرة لهذه الاعتداءات يصفها الأطفال بأنها تشمل استخدام العنف والاغتصاب، وفي بعض الحالات إرغام الطفل على

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

النظر إلى الصور الفاضحة وتقليدها أو قيام الأم والأب بتصوير طفلهما وهو في أوضاع مخلة، بالكاميرا أو جهاز الفيديو، أو إرغامه للتحول إلى العهر لخدمة رغبات والديه أو أحد أصدقاء أفراد الأسرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاعتداءات الجسدية:

أما عدد الأطفال الذين يتعرضون إلى الاعتداء البدني، فقد وصل عددهم في سنة ١٩٩٥م إلى ١٠٠٢٨ حالة، وهو عدد نسبي؛ لأنه يقتصر على أولئك الذين أبلغوا بحالات الاعتداء عليهم، ٨٩٪ منهم تعرضوا للاعتداء على يد أحد الوالدين، حيث وصلت مسؤولية الأب إلى ٤٣٪ ، والأم إلى ٢٣٪، ويصف الأطفال شكل الاعتداء الذي يتعرضون إليه بأنه يتنوع من الضرب على الوجه، والطرد من البيت، والدحرجة على السلم، والعض، والهز العنيف، والتهشيم، والخنق، وحبس الطفل في غرفته، أو إغلاق الدولاب عليه بالمفتاح لساعات طويلة.

ويجد الكثير من الهيئات المعنية بشؤون الأطفال في التعرف على حقيقة ما يتعرض إليه الطفل من خلال الجروح الظاهرة على الوجه والرأس، وفي بعض الأحيان نزيف الأنف وتورم العين، أو من خلال آثار الضرب المبرح بالحزام، ويحرص بعض الآباء على إعطاء ورقة إلى المدرسة كي تعفيه من ممارسة الألعاب الرياضية حتى لا يتعرف مدرسوه على آثار الجروح على جسد الطفل، ويفضل الكثير من الأطفال السكوت على البوح بما يتعرضون له خوفاً من التهديد في المنزل.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسباب الاعتداء على الأطفال:

من الصعب تحديد الأسباب التي تجعل الأب يعتدي على ابنه أو على ابنته، فقد تتعلق حالات الاعتداءات الجسدية ببعض المشاكل الاجتماعية مثل: التفكك الأسري، أو ازدياد البطالة، ولكن هذا لا يفسر أسباب الاعتداءات الجنسية إلا أن يكون مؤشراً على انحرافٍ في سلوك ونفسية الفاعل.

لقد التقت "مجلة المجتمع" الدكتورة مارغريت لينش من مستشفى جايز بلندن، وهي واحدة من الذين يتعاملون مع حالات الاعتداء على الأطفال منذ بداية الستينيات، كي تتعرف على هذه الظاهرة الخطيرة فأفادت الدكتورة لينش:

[إنّ هناك أسباباً كثيرة منها البيئة التي نشأ فيها الأبوان، فالأب الذي تعذب في طفولته وكان نفسه ضحيةً للاعتداء من أحد أبويه، سيعكس هذا السلوك المنحرف على أطفاله مستقبلاً، وفي بعض الأحيان تعود سلوكيات الانحراف إلى وضع الأسرة الاجتماعي كالفقر والبطالة أو انفصال الزوجين].

وعن نسب الاعتداء على الأطفال في بريطانيا مقارنة بالدول الأوربية الأخرى، وهل هذه النسبة في ازدياد أم لا؟

أشارت د. لينش إلى أنه من الصعب تحديد ذلك؛ لأنّ طرق عمل الإحصائيات في دول أوربا تختلف عنها في بريطانيا، فعلى سبيل المثال يقول بعضهم: إنّ حالات الاعتداء على الأطفال في أوربا الشرقية أقل منها في بريطانيا، وهذا لأنّ دول أوربا الشرقية لا تملك طريقة واضحة في عمل الإحصائيات.

أما عن نسب الاعتداء في بريطانيا فتوضح د. لينش بأنها في نقصان، لا لأنّ هناك نقصاناً فعلياً، ولكن لأنّ تعريف الاعتداء الجنسي يتغير باستمرار، ومن هنا تعتقد د. لينش بأن الاعتماد على الإحصائيات للتعرف على الظاهرة قد يكون أمراً مضللاً، وتضيف بأنّ الأطفال الذين يتعرضون إلى الاعتداء في بريطانيا هم أقل من خمس سنوات، وفي بعض الأحيان أقل من سنة واحدة، وتشير إلى أنّ ضرب الأطفال في هذه السن المبكرة له علاقة كبيرة بثقافة المجتمع ومدى استعداد أفراده للتسامح مع الصغار، وعن السبيل للقضاء على هذه الظاهرة، تقول د. لينش: بأن المسؤولية تقع على الجميع، والحلول يجب أن تكون مشتركة، ولا يمكن أن تُحل المشكلة عن طريق سن القوانين وإن كان القانون يساعد أحياناً، وفي بعض الحالات يكون الحل هو أخذ الطفل من المنزل وحمايته بعيداً عن أسرته.

جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال:

الغرب يهبط إلى أقصى درجات الانحطاط والسقوط الأخلاقي.

لابد من التمهيد إلى الحديث بكلمات .. استسمح القارئ الصبر عليها قبل الوصول معه إلى صلب ما يتناوله الموضوع، إن من المواضيع ما يمثل عبئاً ثقيلاً على من يبحث فيه أو يكتب عنه، إلا أن السكوت بحد ذاته يتحول إلى جريمة، ولقد عرفنا من الأمراض الخلقية والاجتماعية في البلاد المتقدمة ما يثير أشد درجات العجب إزاء من يأبون الاقتناع بأن سبيل التقدم دون ضوابط عقيدية وخلقية متينة، لا يمكن أن يحقق الهدف بحال من الأحوال، وإن هؤلاء الذين يأبون التزام تلك الضوابط يجردون الإنسان من إنسانيته، ويهبطون به إلى درك أسفل، دون ما يعرف لدى أخس أجناس الحيوان .. ولكن المرض الذي نتحدث عنه يفوق القدرة على تصور أبعاده عند من لا يعايشه مباشرة.

ويبلغ الإحساس بالألم أشده عندما يكون المرء ـ كما كتب علينا خلال طول الإقامة في ديار الغرب ـ ممَّن عاصر عملية التحول في مرحلتها الأخيرة، عاماً بعد عام، وعقداً من السنوات بعد عقد، منذ أن كانت البداية تحت عناوين مثيرة كثورة الشبيبة على المجتمع المحافظ، وما كانت في واقعها سوى انفلات فريق من القوى الاقتصادية

والمالية من كل ضابط؛ ليتاجر بالغرائز باسم تحرير المجتمع، وسط تساؤلات مبدئية بلهجة بريئة .. منها:

وماذا يضير انتشار الموسيقى الصاخبة؟

ثم ماذا يضير انتشار تلك التقليعات الحديثة المتواترة موجة بعد موجة من الرقص الخليع؟

ثم ماذا يضير انتشار الملابس القصيرة؟

ثم ماذا تضير العلاقات الجنسية المبكرة قبل الزواج؟ .. وهكذا إلى أن بدأ تقنين الانفلات الإباحي، درجة بعد درجة، ومرحلة بعد مرحلة، وإلى أن أصبح الشذوذ في كل ميدان من الميادين بما في ذلك ميدان العلاقة بين الجنسين هو الأمر المعتاد، وأصبح الاحتجاج على الشذوذ ضرباً من ضروب التخلف الفكري والثقافي، والفني، والخلقي والاجتماعي، وما إلى ذلك من مزاعم، وإلى أن أصبحت الأمراض الاجتماعية والخلقية الفتاكة ينكشف أمر من ينشرونها عمداً، ولأغراض مادية محضة، ورغم ذلك تعامل ممارساتهم على أنها نوع من الجنحة فحسب، ويتردد المسؤولون عن مجرد تحويلها إلى جريمة في إطار تقنيناتهم الإباحية، ويصبح الدفاع عن المجرمين باسم العلاج النفساني أو الاجتماعي، أو باسم الحفاظ على الحرية الفردية والكرامة الإنسانية، أشد وأرسخ من الدفاع عن الضحايا أنفسهم.

إنَّ الألم الذي يعتصر الكبد .. ليس بسبب معايشة هذا التطور بحد ذاته في مجتمعات سلكت هذا الطريق من البداية، وكان لابدَّ أن تصل إلى ما وصلت إليه، وأصبحت لا تجد الآن لنفسها مخرجاً من عواقبه رغم شدة المعاناة والشكوى .. بل يصدر الألم عن أننا نرصد بأقصى درجات العجب والذهول كيف تنتشر في بلادنا الإسلامية منذ حقبة لا بأس بها ألوان من تلك الدعوات، التي لا تختلف في محتواها ومقتضاها أي اختلاف عما رصدناه في بداية الطريق التي سلكتها تلك المجتمعات قبل جيل واحد فقط، ونخشى من أعمق الأعماق أن تؤول مجتمعاتنا الإسلامية بعد جيل واحد إلى مثل ما نشهده هنا في ديار الغرب الآن!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمثلة على الجرائم:

معذرة .. فإيراد الأمثلة لا بد منه، **والموضوع المطروح هو ذاك الموضوع الذي انعقد من أجله المؤتمر العالمي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال والناشئة، وانتهى إلى (خطة عمل) في صيغة توصية غير ملزمة**، ولا تكاد تحتوي ما يستحق الذكر بالقياس إلى خطورة الموضوع، ولا يمكن أن تبدل شيئاً على أرض الواقع، حتى وإن وجدت البنود طريقها إلى حيز التنفيذ حرفياً، وقد انعقد المؤتمر في عاصمة السويد البلد الذي سبق سائر البلدان الأخرى في طريق الإباحية، ووصل بتقنية إلى حضيض تشريع الزواج بين ممارسي السحاق واللواط رسميا.

انعقد المؤتمر في الأيام الخمسة الأخيرة من شهر أغسطس (آب) ١٩٩٦م، ولو أردنا طرح الأمثلة على ما استهدف المؤتمر مكافحته، لوجدنا ما لا يحصى على امتداد السنوات الماضية، ولكن نلقي نظرة على الأيام التسعة التالية للمؤتمر فقط، ونستخرج غيضًا من فيض من الأخبار التي تنقلها وكالات الأنباء ووسائل الأعلام، تارة في صيغة إخبارية، وأخرى بأساليب إعلامية مثيرة، ونكتفي بالقليل، ونختصر التفاصيل ما أمكن، مراعاة لمشاعر القارئ فحسب، ونأمل أن يتصور بنفسه ما تعنيه الكلمات المجردة والأرقام الجامدة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

نشرت مجلة "فوكوس" الألمانية يوم ٢/ ٩/ ١٩٩٦م قصة مدير مدرسة كاثوليكية في ألمانيا، يبلغ من العمر ٥٣ سنة، كان قد اعتقل عام ١٩٩٥م، واتهم بالاعتداء الجنسي في ٤٥ واقعة، معظمها مع أولاد طالبي اللجوء السياسي ممن وضعوا تحت (رعايته) ومن تلاميذ وتلميذات مدرسته، ومنها كمثال واحد من الأمثلة، اعتداؤه على تلميذة تبلغ من العمر ١٢ سنة، لجأت إليه لمساعدتها بعد أن اغتصبها أبوها، فكانت (مساعدته) اغتصابها أيضاً كما ثبت في التحقيق أنه كان يعتدي على ابنه هو جنسيا منذ سنوات، وانه كان يصور ابنته البالغة ٦ سنوات من العمر في أفلام الدعارة الفاحشة، ويبيع تلك الأفلام، بقي أن نعلم أنّ مدير المدرسة الكاثوليكية هذا فُصل من عمله بقرار من الكنيسة، ولكنه الآن ـ وقد أُخلي سبيله بانتظار المحاكمة ـ يعمل في مكتبة تابعة لوزارة الثقافة المحلية في الولاية التي يعيش فيها جنوب ألمانيا.

نشرت "وكالة رويتر" يوم ٢/ ٩/ ١٩٩٦م أيضاً نبأ اعتقال رجل رابع من منظمةٍ في النمسا تنتج أفلام الدعارة مع الأطفال والناشئة، وأطلق سراح اثنين من المعتقلين بعد التحقيق ليس لافتقاد الأدلة، ولكن لأنّ القانون لا يقضي باحتجازهم بسبب التهم الموجهة إليهم

بانتظار المحاكمة عليها، هذا وقد ظهر في التحقيق أن عدد ضحاياهم بلغ أكثر من ٧٠ فتاة بين ٧ و ١٣ عاما من العمر، وقد طالب أحد الزعماء الحزبيين بهذه المناسبة بتعديل القوانين لتصبح العقوبة السجن المؤبد، ولم يجد طلبه صدى إيجابياً، والقانون النمساوي ينص على عقوبة بالسجن لمثل هذه الحالات لفترة تتراوح بين عام و عشرة أعوام.

نشرت "وكالة الصحافة الفرنسية" يوم ٣/ ٩/ ١٩٩٦م خبر مطالبة النيابة العامة في إشبيلية بإسبانيا ، بالشروع في محاكمة ٤٨ شخصا، من بينهم أحد القضاة سابقاً، كانوا يُكرِهون الأطفال والناشئة على البغاء لتصوير الدعارة الجنسية، وضحاياهم بين ١٥ و ١٧ عاما من العمر، والحصيلة أن النيابة العامة نفسها تطلب إيقاع عقوبة السجن لفترات تتراوح بين ٤ و ٦ سنوات فقط.

وفي اليوم نفسه نشرت الوكالة نبأ اعتقال دبلوماسي بريطاني بعد أن اكتشفت الجمارك في حقائبه ـ وقد عاد من طوكيو ـ أكثر من ٧٠ فيلماً مصوراً للدعارة بمشاركة الأطفال والناشئة.

نشرت "وكالة أسيوشيتد برس" يوم ٤/ ٩/ ١٩٩٦م، نبأ اعتقال امرأة وصديقها في هولندا، وكانا قد اختطفا ابنة أخيها أو أختها وعمرها ١٠ أعوام من ألمانيا، وقصدا بها هولندا لتشغيلها في البغاء.

نشرت "وكالة الصحافة الكاثوليكية الألمانية" يوم ٦/ ٩/ ١٩٩٦م نبأ بدء التحقيق ضد رابطة (من أجل الأسرة) بسبب منشوراتها التي كانت تتضمن صوراً من مستوى الدعارة الفاضحة.

نشرت "وكالة رويتر" يوم ٧/ ٩/ ١٩٩٦م نبأ اعتقال ٨ أشخاص في إيطاليا، ضُبطوا بعد إحضارهم ٧ أطفال من الصومال، بين ٦ و ١٢ سنة، وعرضهم للبيع على الراغبين.

وفي يوم ٩/ ٩/ ١٩٩٦م نشرت "وكالة رويتر" نبأ محاكمة رجل في دورتموند بألمانيا، بسبب اعتدائه الجنسي على طفل عمره ٩ سنوات، ثم قتله بقذفه من نافذة في الطابق التاسع، وانكشفت في أثناء المحاكمة أنه اغتصب فتاة فيتنامية وهو يهددها بالقتل.

لا نجد ألفاظًا تعبر عن وحشية جرائم الفاحشة .. ولا نجد مناصاً من نقل بعض المشاهد؛ لتصور ذلك الصنف من (المخلوقات) ـ ولا نقول الوحوش ـ الذين يرتكبونها:

في قصة من القصص كانت امرأة تمسك بأختها القاصرة، كي يغتصبها زوجها والأخت تصرخ.

وفي قصة أخرى كان الأب يمارس اللواط مع ابنه وهو يهدده بالقتل.

وفي قصة ثالثة كانت الكنيسة في قرية ألمانية على حدود هولندا تمارس الضغوط على الأهالي إذا لم يسحبوا دعاواهم القضائية بعد أن انكشف أمر أحد القساوسة واعتدائه جنسياً مئات المرات على أولاد القرية على امتداد ٨ أعوام كاملة .. والشواهد كثيرة، والصورة مفزعة.

الأقارب بدءاً بالأم والأب، في مقدمة من يعتدون جنسيا على الأطفال والناشئة، وهي أقل الحالات التي تصل إلى مستوى التحقيق والقضاء، وتقول غالبية البحوث والتحقيقات: إن معظم من أصبح يمارس البغاء من الناشئة في سن مبكرة سبق وتعرض للاغتصاب داخل نطاق الأسرة، وكان من أشهر القصص التي انكشفت قصة أسرة كان أطفالها ضحية الاعتداء الجنسي من جانب الأب والأم والأعمام والأخوال والأجداد والجدات لعدة سنوات.

وقد نشرت "الهيئة الاتحادية للتحقيقات الجنائية" بألمانيا يوم ٢٦/ ٨/ ١٩٩٦م أنّ عدد حالات الاعتداء الجنسي وصلت إلى مستوى التحقيق فيها بلغ زهاء ٢٠ ألف حالة عام ١٩٩٥م بزيادة ١٢٠٠ عن عام ١٩٩٤م، وكان المجرمون في ٢١٥٠ حالة منها على الأقل من الأقارب، وكان ٧٥٪ من الضحايا من الإناث.

ونقلت "وكالة الصحافة الفرنسية" في اليوم نفسه عن أحد المحققين الألمان ويدعى كولر، قوله: إنه لا يمر أسبوع واحد دون أن تضع الشرطة يدها على قيام بعض الأهالي بعرض فتيانهم وفتياتهم من القاصرين والقاصرات للبغاء في الاستراحات على الطرق السريعة.

وألمانيا مثال .. يسري ما فيها على سواها من البلدان الغربية والشرقية على السواء، وسبق أن كشفت بعض الدراسات في تشيكيا وسلوفاكيا وبولندا من دول أوربا الشرقية، أنّ كثيراً ممن أصبحوا بضائع للدعارة من الأطفال والناشئة، كانوا من الأطفال الذين طردتهم أسرهم، وتذكر منظمة (حق الطفل) الهولندية، أن معظم أولئك الأطفال طردوا وهم بأعمار تتراوح بين ٤ و ٦ سنوات فقط، كما ذكرت "المنظمة العالمية لرعاية الطفولة" (اليونيسيف) في آخر تقاريرها، أن زهاء ٣٦٥٠٠ طفل مشرد من غير مأوى، وأن ثلثهم ممن يمارسون البغاء؛ ليتمكنوا من الحياة، وأن متوسط أعمار المومسات هناك بين ١٥ و١٧ سنة، وأن ٧٠٪ منهن سقط في الدعارة مع بلوغهن ١٢ سنة من العمر.

ويقول هاينس هيلجرس رئيس الرابطة الألمانية لحماية الأطفال: إن المشكلة الرئيسية هي أن ٩٥٪ من مرتكبي تلك الجرائم بحق الأطفال والناشئة، لا يجدون أنفسهم في موقف الصدام مع القانون،

ولا مع المجتمع حولهم، فكثيراً ما أثيرت الضجة الإعلامية بعد حالة صارخة ثم هدأت تدريجياً، فالمجتمع الألماني (مجتمع معادٍ للأطفال في ميادين عديدة)، على حد تعبير هيلجرس، الذي يذكر مثالاً على (مدى) الاهتمام بالمشكلة أنه يعرف طفلاً يبلغ ١٢ عاماً من عمره، استجوب بعد الاعتداء جنسياً عليه، وتقرر عرضه على طبيب نفساني، ومضى على القرار حتى الآن ٤ شهور، ولم يحصل شيء.

وظاهرة الاعتداء على الأطفال واستغناء الأسر عنهم أو ما يشبه الأسر شكلاً دون مضمون بعد أن اتسع نطاق انتشار المعاشرة دون زواج ـ ظاهرة تنعكس في ارتفاع عدد المشردين في ملاجئ الأطفال عاماً بعد عام، من ٦٠ ألفاً عام ١٩٩٠م إلى ٨٠ ألفاً عام ١٩٩٤م، بالإضافة إلى ارتفاع من يعيشون في رعاية أسر غريبة غير أسرهم الأصلية، من ٤٤ ألفاً إلى ٥٦ ألفاً خلال الفترة نفسها.

ومن بين ١٢ مليونا من الأطفال والناشئة في ألمانيا، يتعرض سنوياً حسب أرجح التقديرات زهاء ٣٠٠ ألف للاعتداء الجنسي، بينما لا تصدر أحكام على مرتكبي الاعتداءات الجنسية إلا بمعدل ٢٠٠ في السنة فقط.

ومن أبشع ما انتشر من ظواهر الإجرام الفاحش ما يسمى بالسياحة الجنسية، وقد أصبحت تستهدف بلداناً معينة مثل: الهند، والفلبين،

وتايلند، فهناك وصل مستوى انتشار دعارة الأطفال درجة جعلت من النادر العثور على فتاة بكر بين ١٠ و ١٣ سنة من العمر في كامل الأراضي الشمالية من تايلند، وأصبحت التجارة بالفتيات تلجأ إلى (استيرادهن) من البلاد المجاورة، لاوس، وبورما، والصين، وكامبوديا لتغطية (الطلب) المتزايد عليهن من جانب السياح الغربيين في الدرجة الأولى، وتقول المصادر الألمانية: إنّ عدد السياح الألمان في تايلند قد ارتفع مع انتشار هذه الظاهرة، بين عامي ١٩٨٠م و١٩٩٢م إلى ثلاثة أضعاف، وتقدر منظمة اليونيسيف عدد السياح الألمان طلباً للمتعة الفاجرة بالأطفال والناشئة، بحوالي ٤٠٠ ألف سائح سنويا، وأجرت المنظمة دراسة على عينات من سياح الفاحشة في تايلند وأمثالها، شملت ٢٨٠ شخصاً، فكان منهم ٥٨ أمريكيا، و ٢٨ ألمانياً ، ثم يأتي على التتالي: البريطانيون، فالأستراليون، فالفرنسيون، فاليابانيون، فالسويسريون، وتقدر المنظمة عدد البغايا من الفتيات الناشئات بين ١٤ و ١٨ سنة في تايلند بحوالي ٨٠٠ ألف، والهند بحوالي ٤٠٠ ألف، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بما يتراوح بين ١٠٠ و٣٠٠ ألف.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبقى من الثابت أن نواة المشكلة كامنة في فساد القيم، ومادامت المجتمعات التي تبحث عن دواء عاجزة عن القيام بثورة على نفسها وواقع الفساد في قيمها، فلن تجد مخرجا. وبينما يطالب الاتحاد الأوربي بتشديد العقوبات تحت تأثير الرأي العام وسخطه نتيجة متابعة قضية الجرائم الجنسية الأخيرة في بلجيكا، يبقى فهم ذلك التشديد المطلوب نسبيا، ففي مقدمة أسباب عدم التوصل إلى اتفاقات بين بعض الدول الأوربية مثل ألمانيا، والدول المعنية بالسياحة الجنسية مثل: تايلند، والهند، والفلبين، هو من جهة أن هذه الدول نفسها ليست جادة في إجراءات تسد الأبواب أمام قسط كبير من دخل الحركة السياحية الجنسية فيها، ومن جهة أخرى عدم رغبة الدول الأوربية المعنية في تشديد قوانينها .. إذ ما تزال تلك القوانين وفقاً للنظرة الاجتماعية المنتشرة في ميدان العلاقات الجنسية عموماً، تنطلق من عقوبات لا يمكن أن تردع مجرماً عن ارتكاب جريمته، ويمكن تصور ذلك مثلاً في حكم قضائي بالسجن أربع سنوات على رجل من مدينة بيلفيلد أُدين بارتكاب الاعتداء الجنسي ـ على الضحايا من القاصرين والقاصرات في ٣١ واقعة .. وحتى في حالات اقتران جريمة الفاحشة بجريمة القتل، يبقى السجن لبضع سنوات هو الحد الأقصى للعقوبة، ويقول أحد المحققين من مدينة كولونيا ـ عاصمة ولاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

رينانيا وستفاليا التي أصبحت سوق أفلام الدعارة الجنسية مع الأطفال رائجة فيها أكثر من سواها، وكثير منها عبر الحدود الهولندية ـ يقول: (لقد كانت العقوبة في هولندا إلى شهور معدودة مضت، عقوبة مضحكة لا تتجاوز السجن لبضعة شهور، ورفعت الآن إلى حد أقصى هو ٦ سنوات، ولا أستبعد أن يتحول تجار الدعارة بالأفلام إلى بلدان مجاورة بقوانين عقوبات مخففة).

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واجب المسلمين تجاه أبنائهم

ونعود إلى لسان الوجدان .. نخاطب به العقلاء في بلادنا الإسلامية، راجين أن يكون في قلوبهم من المحبة لأبنائهم وبناتهم ولأطفال أمتهم وناشئتها، وعماد مستقبلها، ما يفوق ذلك القدر من الانبهار بمظاهر براقة أخرى للتقدم المادي الحديث، وأنْ يدركوا أنّ إقامة المنشآت وصناعة الآلات وتحقيق النمو الاقتصادي بمختلف وجوهه الحقيقية، لا علاقة له البتة بدروب تدمير العقيدة والأخلاق والقيم، إلا من جانب واحد، أنّ افتقادها يؤدي إلى افتقاد مغزى التقدم المادي نفسه، ويعرضه لخطر الانهيار في المستقبل على يد جيل تفتك به الأمراض الاجتماعية والخلقية . . . ولا يمكن أنْ تجد السعادة الحقيقية إلى قلوب أبنائه وبناته سبيلاً آنذاك، وإن ركبوا السيارات الفاخرة، وسكنوا القصور المشيدة، واستمتعوا بمختلف ألوان الملذات الزائلة.

نعود إلى لسان الوجدان وننقل إليهم في الختام صورة من الصور التي يعنيها انتشار كبرى الفواحش في المجتمع على لسان ذلك المحقق الألماني من مدينة كولونيا، وهو يصف ما يشهده في أثناء عمله في ميدان التجارة بأفلام الدعارة مع الأطفال والناشئة، إذ يقول:

(الواقع هو أن كثيراً من الأطفال في تلك الأفلام ، لا يُكرهون فقط على ممارسات جنسية بعينها، بل يتعرضون بصورة مقصودة للتعذيب

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيضا، فيكبلون بالقيود، وتوضع التوابل الحارة في أعينهم .. فالقاعدة السائدة هي أنه كلما كان الطفل أصغر سناً وكانت الممارسة أشد شذوذاً، كان العائد المالي من بيع الفيلم أكبر، ولقد كان أصغر ضحية من الأطفال وجدت نفسي مضطراً إلى رؤيته في تلك الأفلام لا يتجاوز ١٨ شهراً من عمره).

هل نبالغ إذا قلنا: إنهم أحط من الوحوش في فواحشهم، وأضل من الأنعام في عقولهم، وأقسى من الصخور في قلوبهم؟ . .

اللهم نسألك العفو والعافية والحرص على نعمة الإسلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظاهرة الاستغلال الجنسي للأطفال

وجاء في هذا الملف:

ومن الأمثلة على هذه الوضعية المنذرة (**المؤتمر الدولي الأول حول ظاهرة الاستغلال الجنسي للأطفال في العالم**)[1] المنعقد مؤخراً في استكهولم بالسويد بمشاركة ١٢٠٠ ممثل عن ١٢٠ دولة، و ٥٠ منظمة وهيئة دولية وغير حكومية انتبهوا بعد ثلاثة أيام من المداولات إلى أن **أعلنوها (حرباً مقدسة) ضد هذه (الظاهرة الشيطانية والثالوث غير المقدس: دعارة الأطفال، الاستغلال الجنسي للأطفال، وتجارة خلاعة الأطفال)**.

(١) سبق أن وردت الإشارة إليه في ص ٣٠.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهم عوامل نشوء هذه الظاهرة

مع أنّ هذه العوامل تبدو معقدة ومتداخلة جدًا بحيث يصعب حصرها وضبطها، فإن المهتمين بهذه الظاهرة والباحثين فيها يذهبون في كتاباتهم إلى التركيز خاصة على الأسباب والعوامل المباشرة الآتية:

١ـ الفقر والعوامل الاقتصادية الأخرى التابعة له واللصيقة به يمثل من وجهة نظر الكثير من الباحثين السبب الرئيسي ـ الأول: في نشوء وشيوع ظاهرة استغلال الأطفال سواء على المستوى الجنسي أو الاقتصادي، حيث أشار تقرير حديث لمنظمة العمل الدولي إلى وجود ما لا يقل عن ٧٣ مليون طفل في العالم يعانون من الاستغلال الاقتصادي بتشغيلهم في أعمال شاقة وخطيرة وبأجور زهيدة جداً[(١)]، ومع أن الفقر أصبح ظاهرة تكاد تكون عامة ومشتركة بين أغلب بلدان العالم تقريباً بما فيها دول الشمال الغني (كندا، والولايات المتحدة، وفرنسا ..)، فإنها تبدو منتشرة ومستفحلة أكثر في دول الجنوب الفقيرة التي لا تتوافر لديها إمكانيات الحدِّ منها، والتخفيف من حدّتها، في مثل هذه البلدان يلجأ العديد من أولياء العائلات الكبيرة نتيجة عجزهم الاقتصادي عن تلبية حاجيات من يعولون إلى

---

(١) انظر "مجلة المجتمع" العدد رقم ١٢٠٧.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

عرض (خدمات) أولادهم وبناتهم في سوق الدعارة من أجل مبالغ زهيدة.

٢ ـ **السبب الرئيسي الثاني**: هو ضعف المستوى التعليمي والتربوي، وهذا الضعف موجود في البلدان الضعيفة والغنية.

- **أما البلدان الفقيرة** فهو نتيجة للتخفيض المستمر والمتزايد من حكومات أغلب هذه البلدان لميزانيات التربية والتعليم مقابل تضخيم ميزانيات التسليح واستيراد الكماليات.
- **وأما البلدان الغنية** فهو نتيجة لأسباب أخرى منها الانقطاع المبكر عن الدراسة رغبة من الطلاب في الشغل لتأمين مطالبهم من الملاهي والمخدرات. ومنها انتشار ظاهرة الأسرة التي تكون المرأة فيها هي المعيلة لأبنائها.

٣ ـ **السبب الثالث**: هو الثورة المعلوماتية عامة، ولاسيما شبكة الإنترنت التي أجمع المشاركون في ندوة استكهولم على أنها أخطر الوسائل التقنية في إشاعة الاستغلال الجنسي للأطفال والتشجيع عليه، فقد ذكر بعض المشاركين أنه يوجد الآن على شبكة الإنترنت مليون صورة خليعة وأربعون مليون صفحة مخصصة لمعلومات تتعلق بدعارة الأطفال .. ولا تتوقف خطورة الإنترنت عند هذا الحد فقط، وإنما

تتعداه إلى ما هو أخطر من ذلك بكثير، ومن ذلك ما ذكره الخبراء في هذه القمة من صعوبة، بل استحالة معرفة الجهة التي تقوم ببث ونسخ وتسويق مثل هذه المواد من جهة، والفراغ القانوني الكلي تقريبا في مادة التعامل مع مثل هذه الجهات.

وقد أجمعت كل الوفود التي حضرت فعاليات قمة استكهولم على أن ظاهرة الاستغلال الجنسي للأطفال في العالم توسعت خلال العقود الأخيرة بشكل لم يعد يمكن معه الصمت أو التعامل معها على أنها قضية محلية خاصة بهذا البلد أو ذاك، فقد أصبحت هذه الظاهرة جزءا من الجريمة المنظمة على المستوى العالمي تقف على إدارتها عصابات وشبكات دولية ممتدة في أغلب بلدان العالم ومخترقة للكثير من الفضاءات الهامة بما فيها الأمن والمال والسياحة والإعلام والسياسة، وتبدو قوة هذه الشبكات في توسلها بتقنية الإنترنت التي تعمل من خلالها على إشاعة (ثقافة معينة) وكمّ هائلٍ من المعلومات حول مسالك وطرق البحث عن الأطفال المستهدفين، وكيفيات خطفهم واستغلالهم جنسياً ضمن شبكات محلية ودولية لتجارة الجنس.

ومما يزيد في تعقيد الموقف ما ذكره العديد من الخبراء في مجال المعلوماتية عامة والإنترنت خاصة من عدم وجود أي تكنولوجيا قادرة

حتى الآن على إيقاف هذا السيل العارم من الدعارة المعلوماتية أو حتى على التخفيف من حدتها.

وتضاف إلى هذه الصعوبة التقنية صعوبة أخرى مادية وهيكلية تتعلق بفقدان الأجهزة الأمنية للإمكانيات البشرية والتقنية لمواجهة هذه الشبكات التي لا يقل عدد مستعمليها والمستفيدين من خدماتها عن ٢٠٠ مليون شخص في العالم، إزاء مخاطر الإنترنت.

وانطلاقاً من الصعوبات الحالية في السيطرة عليها دعا العديد من المؤتمرين في استكهولم الدول والمنظمات المشاركة إلى اعتبار الإنترنت (تحدياً جماعياً جديداً) كما يدعو إلى اتخاذ إستراتيجية عملية مستعجلة لمراقبة أو مواجهة (تفجر المعلومات والاتصالات عبر الأقمار الصناعية والإنترنت التي جعلت من العالم عالماً بلا حدود).

وقد بينت الأحداث الأخيرة في بلجيكا التي تزامنت مع انعقاد مؤتمر استكهولم التي كشفت عن عصابة خطيرة لاختطاف واغتصاب وقتل البنات أنّ مجرد التصويت على كم هائل من القوانين والإعلانات لا يكفي وحده لمواجهة فعلية وناجعة لنشاطات شبكة الجريمة المنظمة بشكل عام وشبكات خطف الأطفال واستغلالهم جنسيًا بشكل خاص، ومما يضاعف من خطورة الموقف تساهل العديد من الدول مثل بلجيكا، وكندا في إطلاق سراح المساجين قبل إنهاء مدة عقوبتهم، حتى ولو كان

بعضهم قد يمثل خطرًا على غيره، مثلما بينت ذلك إحصائيات جديدة بكندا حصلت عليها المجتمع مفادها أن ٢٥٪ من المجرمين يعودون إلى الإجرام بعد إطلاق سراحهم قبل إنهاء عقوبتهم واستيفاء علاجهم النفسي.

تواضع نتائج المؤتمر

المهتمون بهذه الظاهرة والمتتبعون لفعاليات مؤتمر استكهولم يخافون من شيئين اثنين:

الأول: هو تواضع أشغال ونتائج المؤتمر وخاصة خطة العمل المقررة والمعلنة، والتي اعتبرها العديد من ممثلي الدول والأطراف المشاركة مخيبة للآمال و(متخلّفة عن المرحلة ، وغير كافية)، وذلك لاقتصارها على مجرد دعوة الدول لوضع وإنجاز مشاريع وبرامج عمل تهدف إلى توسيع الجهود الرامية لمواجهة (تجار وعصابات الجنس) وإلى التدرج القانوني في اتجاه (تجريم) السياحة الجنسية وعمليات الاستغلال الجنسي للأطفال، وذلك من خلال إصدار تشريعات تسمح للدول بإمكانية المتابعة القضائية لمواطنيها الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم حتى ولو قاموا بذلك خارج بلدهم الأصلي، كما هو معمول به الآن في كل من ألمانيا وفرنسا وغيرهما.

الثاني: أنه رغم أهمية ما تضمنته الوثائق النهائية لهذا المؤتمر ، فإن هذِه الوثائق لا تمثل أكثر من نوع من الالتزام الأخلاقي والأدبي للتعاون بين كل الشركاء والأطراف من الدول والمنظمات غير الحكومية، والأنتربول، والمنظمات الأممية وغيرها . . ضد الاستغلال الجنسي للأطفال وضد تجارة الجنس بشكل عام، فهذه الوثيقة كغيرها من العديد من الإعلانات والوثائق الدولية الأخرى، فاقدة لكلِ صفة قانونية مُلزمة ، فهي حسب المنظمين لا تزيد عن كونها «نداء من أجل العمل»، ومن أجل تعاون الجهات المعنية بمواجهة هذِه الظاهرة ولا ترمز إلى أكثر من رغبة المنتظم الدولي لإعطاء دفع جديد لمقاومة شبكات الاستغلال الجنسي للأطفال.

أخيراً .. إذا ما أضيفت هذِه الظاهرة وهذِه الإحصائيات المفزعة عن الاستغلال الجنسي للأطفال في العالم إلى الإحصائيات الجديدة المنشورة عن وضعية الأطفال في سوق الشغل فإنَّ الإنسان يصيبه الخوف والقلق الكبيران عن مستقبل الطفولة في العالم الذي انتهى فيه نظامه الثقافي والقيمي المهين إلى إنتاج حالة من التآكل الذاتي أو الانتحار من خلال تهديد الطفولة التي تمثل مستقبل البشرية.

في النهاية يمكن القول إن إنسانية الحضارة والثقافة المهيمنتين لم يعد لها أي معنى طالما أن نهايتها أصبحت تدمير الإنسان في كل

مراحل عمره، وفي كل أبعاده، وفي كل قيمه، وهو لم يجعل العالم يستقبل مرحلة لا إنسانية مرحلة تقنية كل شيء فيها محكوم بالتقنية التي لا تعير اهتمامها إلّا للمصالح الآنية والوفيرة، أما الإنسان وقيمه فلن يكون لهما من اعتبار سوى ما قد يجلبانه من نفع مادي أو سياسي أو غيره لهذه الجهة أو تلك.

رغم تواضع حصائد هذا المؤتمر الدولي الأول من نوعه وعدم توفيقه في الخروج بأمور عملية واضحة وملزمة تساعد في القضاء على هذه الظاهرة، وعلى هذا النوع من التجارة المحرمة وغير الأخلاقية، فإن الإضافة الأساسية لهذه الظاهرة الدولية هي كسر وتجاوز حاجز الصمت الدولي الذي أحاط في السابق بهذه الظاهرة المفزعة، وهو ما يمثل في حد ذاته نجاحاً كبيراً للندوة.

العنف ضد الأطفال في الأردن هل هو ظاهرة؟

نشرت "مجلة السبيل" الأردنية مقالًا عن العنف ضد الأطفال في الأردن جاء فيه:

أوضحت إحصائيات دائرة السير لعام ١٩٩٥م أنّ عدد الأطفال دون الثامنة عشرة، الذين تعرضوا إلى حوادث دهس بلغ (٣٨٩٢) طفلاً، وأظهرت إحصائيات فرع الإحصاء الجنائي في إدارة التحقيقات والبحث الجنائي أن عدد ضحايا الاعتداءات الجسدية بلغ عام ١٩٩٥م (١٩٤٧) طفلاً، والاعتداءات الجنسية أصابت (٣٨٠) طفلاً، هذه الأرقام وردت في دراسة أعدها المقدم بشير البلبيسي- وقدمها إلى ورشة العمل التي أقامتها جمعية زهر الأردن للمشاريع التنموية بالتعاون مع اليونيسيف حول موضوع الإساءة للأطفال، في ورقة العمل التي قدمها الدكتور وليد سرحان حول أنواع الإساءة وأثرها النفسي، أورد أربعة أنواع للإساءة: هي الإساءة الجسدية، والجنسية، والإهمال، والإساءة العاطفية والنفسية.

وقد ذكر د. وليد سرحان أنّ الأطفال في السنوات الأولى من العمر أكثر عرضة للإساءة الجسدية، لضعفهم واعتمادهم الكلي على الكبار،

ومن هم تحت العامين من العمر يكونون أكثر عرضة للإصابات الخطرة والوفاة، ويقل احتمال الوفاة مع تقدم العمر.

ويلاحظ أن الأطفال المعاقين أكثر عرضة للإساءة، وأن الإساءة قد تؤدي للإعاقة العقلية أو الجسدية بشكل مباشر أو غير مباشر بالإهمال.

ويتصف هؤلاء الأطفال بعدم استمتاعهم باللعب، وعدم الثقة بالنفس، وقلة ردود الفعل، والمراقبة الحذرة لما يجري حولهم، والسلوك الوقائي المعاكس، وعدم التفاعل الاجتماعي، والخوف من الكبار، ومحاولة التصرف كالكبار، وهذِه مؤشرات على أنّ الإساءة الجسدية لا بد من أن تؤذي الطفل نفسياً وعاطفياً.

الإساءة الجنسية

من العادة أن تنكشف هذِه الإساءة بسرعة إذا كان الفاعل غريباً، أما إذا كان من أفراد الأسرة أو الأصدقاء والمعارف فقد لا تكتشف إلا بعد مدة.

والأطفال في سن مبكرة لا يعون هذِه الإساءات ولا يفصحون عنها بسهولة، ذلك لأنهم غالباً ما يهددون بالعقوبة إن أباحوا، ويكونون في صراع وخوف من أن تنشق الأسرة، وقد لا يدرك الطفل لصغر عمره ما يحدث له بالفعل. وغالباً ما يكون المسيء رجلاً قريباً أو معروفاً للطفل، ونادراً ما تقوم المرأة بهذِه الإساءة، ومما يزيد من احتمال الإساءة أن يكون أحد الوالدين قد تعرض للإساءة، والإدمان على الكحول، ووجود خلل في العلاقة الجنسية بين الوالدين، وفي الحالات التي يكون فيها الأب ذا انحرافات جنسية معروفة.

هذا وإن الآثار الجسدية للإساءة الجنسية فإنها قد تلتئم، ولكن الأذى النفسي الذي تسببه هذِه الإساءة قد يبقى مع الطفل حتى شيخوخته.

ويمكن أن يتعرض الطفل إلى أنواع من الإهمال وهي:

الإهمال الجسدي.

والإهمـال الطبي.

والإهمـال التعليمي.

والحرمـان العاطفي.

وقد تكون الثلاثة الأولى قابلة للتحديد، ولكن الحرمـان العـاطفي يصعب كشفه وتحديـده، ولكـن آثـاره أعمـق وأبعـد، مـن الأشـكال الأخرى للإهمـال بأشـكاله المختلفـة، وقـد يقـترن الإهمـال بالإسـاءة ويرافقها، والحق أنه هو الإساءة بحد ذاتها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإساءة العاطفية والنفسية

وتتمثل الإساءة العاطفية:

بالانتقاد الشديد اللاذع والإهانات والتهديدات، والتحقير بأشكاله، وعدم إعطاء الحنان والحب عندما يتطلب ذلك.

وفي الأطفال يتضح التأثير للإساءة العاطفية فوراً؛ لأنَّ هؤلاء الأطفال معتمدون كلياً على ذويهم، فهم بحاجة للغذاء، والدفء، والنظافة، والحنان، والتجاوب مع متطلباتهم في كل الأوقات والظروف، وقد يعرض الطفل على الطبيب مرات مصاباً بالتهابات مختلفة وطفح جلدي نتيجة عدم تغيير الفوطة بشكل منتظم، وتجد الأطفال المهملين يلجؤون للإثارة بهز الجسم أو ضرب الرأس.

والطفل الذي يُساء له عاطفياً، يتأثر ارتباطه بالوالدين.

فتراه يبتعد عن أمه ولا يلجأ إليها للأمان والراحة والحضن، وقد يعزل نفسه ويبقى جالساً في زاوية الغرفة يراقب الآخرين دون حراك.

وقد يكون ارتباطه بأمه قلقاً فتراه يمسك الطفل بها باكياً متذمراً.

هذا وإنّ الأطفال قبل سن المدرسة تكون مظاهر الإساءة العاطفية إليهم سلوكية، وتتضح في مواقف الطفل الاجتماعية مع الأطفال الآخرين من ضعف التركيز، وعدم إنجاز أي عمل أو

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصمود فيه لأكثر من دقائق، وزيادة في الحركة وضعف التفاعل الاجتماعي، وكثرة العنف والشتائم، وعدم القدرة على اللعب والتعاون، وقد يظهر على الطفل الارتباط العشوائي مع أي شخص حتى الغرباء، وتعطش الطفل للتقارب والتعاطف مع الكبار، كما يلاحظ أنهم قصيرو القامة وصغيرو الرأس.

أما الأطفال في سن المدرسة فإن الحرمان العاطفي على مدى طويل يؤدي إلى تقزُّم الحرمان، وهذا يؤدي لقصر القامة. ويلاحظ أنّ السلوك نحو الطعام غير عادي فيسرق الطفل الطعام، ويأكله في الليل أو يخبئه في فراشه، وقد يأكل الطفل أشياء ليست مناسبة للأكل، وقد يبالغ في الطعام حتى القيء.

ومن أكثر الظواهر التي تساعد على تشخيص الإساءة العاطفية أنّ مجرد سحب الطفل من بيئته إلى بيئة صحية يتسارع نموه حتى عشرة أضعاف، ولكن هذا ليس النموذج الشائع، والأكثر شيوعًا هو الاضطرابات النفسية والسلوكية والاجتماعية، وصعوبات التعلم، ويكون الطفل ضعيف الثقة بالنفس وكثيراً ما يشعر بالذنب دون ذنب. لا يستطيع هؤلاء الأطفال إقامة صداقات وعلاقات حميمة مع الأطفال الآخرين وقد يتجهون نحو الكبار فقط.

وقد يتمثلون سلوك الوالد المسيء ويقومون بالإساءة للآخرين والتصرفات الغريبة والمستهجنة، وقد يلجأ بعض الأطفال للتبول أو غير ذلك.

السيدة أنعام العشا وبحكم طبيعة عملها في وزارة التنمية الاجتماعية وكمستشارة قانونية في وكالة الغوث أوردت مجموعة من الأمثلة على ما يعانيه عدد من الأطفال في الأردن بسبب من ظاهرة العنف الآخذة بالانتشار والتنوع حيث قالت: مي ورامي .. طفلان دون الخامسة تم التبليغ لمركز الأمن عنهما بعد أن ضاق الجيران ذرعاً بالصراخ والعويل الدائم والأنين الليلي، الوالد هو الذي اعتدى عليهما بالضرب الشديد، حيث استخدام بعض الأدوات في إيقاع الأذى بهم، حيث قام بقطع طرف لسان الابن بالقطاعة والضغط على أظافرهم، وقد أثبت الكشف الطبي ذلك وأيضا قام بحبسهم ومنع الطعام عنهم، مي ورامي عانوا كثيراً بل كادوا أن يفقدوا حياتهم لولا تدخل الجيران.

ترى كم هناك من مي ورامي، لا يتم التبليغ عنهم، بحجة أنّ هذا شأن عائلي، وأن الوالد يمكنه ببساطة أن يدعي أنّ ما مارسه نوع من التأديب الذي يحق له وفق القانون والعرف العام والمفاهيم

المجتمعية ممارسته.

مي ورامي أُودعا إحدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية، وجدير بالملاحظة أن الوالد بإمكانه أن يقدم كفالة ويأخذهما خصوصا وأنه ليس من ذوي السوابق، ويستطيع الادعاء أنها غلطة وليس هناك ما يمنعه من ذلك.

* * *

وقد تابع د. وليد سرحان حديثه عن مصادر الإساءة التي يتعرض لها الأطفال فذكر المدرسة والمجتمع، وجاء في ورقته: قد تكون الإساءة بمختلف أشكالها ناتجة عن تعامل المجتمع بمؤسساته المختلفة مع الأطفال، مثل إهمال البلديات للمرافق الخاصة بلعب الأطفال، وعدم إنشاء ساحة وملعب وحديقة في كل حي، مما يعرض الأطفال للعب في الشوارع، وبالتالي التعرض لأخطار حوادث السير، أو الانحراف والتهرب من المدرسة، والبدء بالتدخين واستعمال المشروبات دون رقابة.

وتقع الإساءات الجنسية والعاطفية والجسدية في المدرسة من المدرسين والمدرسات على الطلاب والطالبات، كما يمكن أن تقع من الطلاب بعضهم على بعض، ويلاحظ أن نظام الضبط المدرسي الذي

وضعته وزارة التربية والتعليم لا يعرفه معظم المدرسين. وإذا عرفوه فلا يطبقونه.

وتابع د. وليد: رغم أن قانون الأحداث الأردني عند قراءته يعطي صورة جيدة لأسلوب التعامل مع انحراف الأحداث ومحاكمتهم، إلا أن الواقع العملي والممارسة فيها الكثير من الخلل والإساءات، والتي لن تؤدي لأي إصلاح، بل للإهانة والوصمة، والمزيد من الانحراف والخروج على العرف والتقاليد والقانون. وفي مراكز رعاية الأحداث والفتيات لا تُوَفَّرُ الإمكانات البشرية والعملية حتى تكون هذِه الرعاية فعالة. وهذا برأيي شكل آخر من أشكال الإساءة.

كما أن انتشار الأطفال بين السيارات عند إشارات المرور في الحر والبرد ومختلف الأحوال والأوقات من أبشع صور الإساءة للطفولة، ولا بد من العمل على وقف هذِه الممارسات خصوصاً أن هناك آباء وأمهات يدفعونهم للشارع، أو يغضون الطرف عنهم طالما عادوا ببعض المال.

توصيات الندوة

وقد قدم المشاركون في الندوة عدداً من التوصيات كان أهمها:

- وضع معايير دقيقة تحدد استنادًا إلى حضارتنا العربية الإسلامية، وللمفاهيم الإنسانية التي تنظمها شريعتنا، بحيث تحدد حدود السلطة التأديبية للأسرة على الطفل، ومسئولية الأهل عن الإهمال الذي يؤدي إلى إصابة الطفل وتعريضه للحوادث المختلفة.
- تشكيل هيئة وطنية تعنى بشؤون الطفل وتكون ذات صلاحية في تقديم الخدمات له.
- وضع مرشد نفسي في كل مركز أمن للتعامل مع قضايا الأطفال المُساء إليهم.

* * *

غيض من فيض

أقول: إن هذه الحوادث التي نقلتها من الصحف والمجلات العربية غيض من فيض، وهي تدل على أن انتشار العدوان على الطفل من آبائهم وأمهاتهم كثير حتى قال قائل من الباحثين الغربيين قبل أربعين سنة:

إنَّ واحداً من كل عشرة أطفال يدخلون المستشفيات يدخل بسبب الاعتداء عليه من ذويه.

وأحسب أنّ هذا قد زاد الآن زيادة كثيرة.

والاعتداءات الجنسية على الأطفال التي تصل إلى دوائر الشرطة والجهات الأخرى قليلة بالنسبة إلى الاعتداءات التي تقع؛ لأنّ الأسرة لا ترفع ما يحصل لأولادها إلى تلك الجهات، لأنه يعرضها للمسؤولية، ويبدو أن الذي يرفع إلى تلك الجهات ما كان يحتاج إلى علاج، أو ما وصل إلى خطر الموت، أو ما تدخّل به الجيران.

فالطفل ضعيف قليل الحيلة، والآباء المعتدون لا يمكن أن يفضحوا أنفسهم ويعرضوها للمساءلة والعدالة والفضيحة.

ونستطيع أن نصنف الاعتداءات في ثلاثة أنواع: جنسية، وبدنية ونفسية.

والاعتداءات الجنسية في نطاق الأسرة غالباً ما تكون من الأب. والاعتداءات البدنية والنفسية تكون من الأبوين كليهما.

وهناك اعتداءات من غير الأقارب وتكون من المدّرس في الروضة أو المدرسة.

وأخطار هذا العدوان كثيرة، فمن ذلك إصابة الأطفال المعتدى عليهم جنسياً ذكراناً كانوا أو إناثاً بالأمراض التناسلية.

وأما الاعتداءات البدنية والنفسية فتتمثل في أمور كثيرة منها كسر عظم الطفل، ومنها إصابته بارتجاج الدماغ، ومنها إصابته بأنواع من الشلل، ومنها إصابته بأمراض نفسية كالاكتئاب وغير ذلك.

إن ملايين الأطفال في أمريكا وأوربا وآسيا وأفريقيا يتعرضون إلى هذه الأنواع من العدوان.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موقف الإسلام من الطفل

وأود أن ننظر إلى موقف الإسلام من الطفل نظرياً وكيف عامله رسول الله ﷺ وأصحابه عملياً.

- رعى الإسلام الطفل قبل أن يولد، فأوصى الرجل باختيار الزوجة، وأوصى الزوجة وأهلها باختيار صاحب الخلق والدين.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[(١)] متفق عليه.[(٢)]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه».[(٣)]

- حفظ له حق الحياة فلا يجوز إسقاط الحمل، وهو في نظر أئمة الإسلام جريمة.

- ولا يجوز قتله بعد الولادة.

---

(١) قال الإمام المنذري: [تربت يداك كلمة معناها الحث والتحريض. وقيل: هي هنا دعاء عليه بالفقر، وقيل: بكثرة المال، واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما، والأخير هنا أظهر ومعناه: اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال أكثر الله مالك].

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٣) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم ٢/ ١٦٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

- أوجب على الوالدين رعاية عقيدته وخلقه وتعليمه أحكام دينه.
- إكرام الأطفال ولاسيما البنات.
- لا يجوز تفضيل أحد الجنسين على الآخر، ولا يجوز أن يعطي واحداً دون إخوته.
- احترام إنسانيته منذ أن يكون طفلاً رضيعاً إلى آخر حياته. والذكر والأنثى في هذا سواء.
- يجب المحافظة على نسبة الطفل إلى أبيه.

  ملعون من انتسب لغير والديه.

  وكذلك فعلى الأب أن يعترف له بهذه النسبة.
- يجب إرضاعه ورعايته إلى أن يقوى، والوالدان يتعاونان في سبيل ذلك
- يجب على الوالد الإنفاق عليه وتأمين ضروراته.

* * *

تقوم هذه الأيام دعوات ـ من جهات متعددة ـ للكفّ عن إيذاء الأطفال وعن العدوان عليهم، وتعقد مؤتمرات توصي بها، وتصدر عنها دراسات تبيّن الظلم الذي يقع عليهم من قبل آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم الأبعدين وغيرهم.

ومظاهر الظلم التي يتعرّض لها الأطفال عديدة:

منها ضربهم المبرح، وحرمانهم من الغذاء والنوم، والتحرش بهم جنسياً، وتشغيلهم، وتكليفهم مالا يطيقون من الأعمال، وشتمهم والسخرية بهم .. إلى غير ذلك من مظاهر الظلم التي قد تصل إلى قتلهم.

والإحصاءات التي تنشر عن ذلك مذهلة، وما لا ينشر أكثر.

وقد كان هذا الواقع المؤلم نتيجة طبيعية لسيطرة الحضارة المادية التي تقوم على ابتغاء اللذة والمتعة وتحصيل المال، والتي لا تقيم للقيم الروحية وزناً.

نشأ هذا الاتجاه في البلاد الأوروبية والبلاد الأمريكية والبلاد الخاضعة لهذه الحضارة المادية .. ثم تسرب إلى البلاد الأخرى وا أسفاه!!

ونودّ أن نبيّن أن هذا الاتجاه غريب علينا، بعيد عن أحكام ديننا، مجافٍ لعاداتنا الأصيلة وقيمنا ومُثُلنا..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليس منا من لم يرحم صغيرنا

إنّ رحمة الصغار مقوّم من مقومات وجود السلم في جماعة المسلمين، فقد قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا».

إنّ هذا الحديث الشريف ليدل دلالة واضحة على عظم هذا الأمر عند الرسول ﷺ حتى إنه يقول ليس منا من لم يرحم الصغير.

وقد روى هذا الحديث عدد من الصحابة:

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس منا من لم يجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».[(١)]
- وروى نحوه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ بلفظ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا».[(٢)]

---

(١) رواه أحمد ٢٣/ ١١٣، والحاكم ١/ ٢٢، و"صحيح الجامع الصغير" (٥٤٤٣).

(٢) رواه أحمد ٢/ ٢٠٧، والبخاري في "الأدب المفرد" ١/ ١٣٠، ورواه الترمذي (١٩٢١) عن أنس، ورواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر "صحيح الجامع" (٥٤٤٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسلم مسؤول عن تربية أولاده

إنّ الأولاد نعمة من نعم الله الجليلة، وقد منَّ الله تبارك وتعالى على عباده أن جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة. قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢].

فالآباء والأمهات مسئولون عن تربيتهم والعناية بهم:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».(١)

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته: الرجلُ راعٍ في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها».(٢)

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤٧١٤)، والترمذي (٢١٣٨).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥)، وأحمد ٢/ ٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

لقد قرّر رسول الله ﷺ أنَّ الأبوين مسؤولان عن أولادهما .. مسؤولان عن عقيدتهم لأنهم يولدون على الفطرة فطرة الإسلام، ولكن الأبوين هما اللذان ينصرانهم أو يهودانهم أو يمجسانهم، ولم يقل رسول الله ﷺ: أو يسلمانهم؛ لأنهم يولدون على فطرة الإسلام. فالمطلوب من الوالدين المحافظة على هذه الفطرة من التشويه والتلويث والانحراف والإفساد هذا من ناحية العقيدة .. والأبوان مسؤولان عن تربيتهم على الأخلاق الفاضلة الكريمة، وعن تعليمهم العلم النافع الذي يجعلهم يعرفون المعلوم من الدين بالضرورة، ومسؤولان عن تنشئتهم على حب الله وحب رسوله ﷺ وآله الكرام، وحبّ الصحابة الذين نقلوا لنا هذا الدين الذي يحقق لنا سعادة الدنيا والآخرة إن نحن آمنا به وعملنا بأحكامه.

وهذا يقتضي رحمة الأطفال ومحبتهم واحتمال ما يصدر عنهم وتعهدهم بالعناية والرعاية، ذلكم لأنّ الطفل يدرك التصرفات التي يلقاها ممن حوله .. يدركها في سنّ مبكرة وينمو هذا الإدراك كلما كبر.

إنّ رحمة الطفل ومحبتَهُ والعناية به تجعله يحب من أحسن إليه؛ لأنّ النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وبذلك الحبّ

تسهل المحافظة على نقاء فطرته التي فطره الله عليها من الشوائب والانحرافات، وتسهل استجابته لمن يربيه على الفضيلة وحمل الرسالة لأنّ المحبّ ـ في غالب الأحوال ـ يطيع من يحبه، أما المبغض فينفر مِنْ كلام مَنْ يبغض وتراه دائماً يولع بمخالفته والوقوف ضده إن استطاع.

ومن هنا تقرّر أنه إذا أردنا إنشاء جيل مؤمن قوي ذي خلق متين فيجب أن نحذر من معاملة أطفالنا بالفظاظة والقسوة والعنف، والله تعالى يقول لنبّيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إنّ رسول الله ﷺ قدوة للمؤمنين الصادقين، واتّباعُه واجبٌ على المسلمين، وهو دليل على محبة الله. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فلننظر كيف كان رسول الله ﷺ يعامل الأطفال ولنقتد به، وهو صلوات الله وسلامه عليه الرحيم الرؤوف بالمؤمنين قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقد كان صلوات الله وسلامه عليه رحيماً بالأطفال مداعباً لهم، محسناً إليهم، وكان هذا شأنَهُ مع الناس جميعاً ولكنه كان يخصّ الأطفال بلون من التكريم:

- فقد كان إذا سمع بكاء الصبي وهو في الصلاة يُسرع في صلاته رحمة به وبأمه:

- عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطوّل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز كراهية أن أشقَّ على أمّه».[(١)]

- وكان يداعب الأطفال ويمازحهم ويتحبّبُ إليهم ويدخل عليهم السرور، فقد زار ﷺ بيت رجل من أصحابه، فلقي طفلاً عمره خمس سنوات، فمجَّ ﷺ في وجهه قليلاً من الماء مداعباً وملاطفاً. فكان هذا الطفل عندما كبر يعتزّ بهذه المداعبة وحق له ذلك. ودعي هذا الصحابي عند العلماء (بصاحب المجّة).

- عن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: عقلتُ من النبيّ ﷺ مجَّةً، وأنا ابن خمس سنين من دلو من بئر كانت في دارنا.[(٢)]

---

(١) رواه البخاري (٧٠٧)، وابن ماجه (٩٩١)، وأبو داود (٧٨٩)، والنسائي (٨٢٥).

(٢) رواه البخاري (٨٨)، ومسلم (٦٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إني لأحسب أن هذا التصرف الكريم ترك أثراً كبيراً في نفوس أعضاء هذه الأسرة، وفي نفس هذا الطفل.

ومن الأمثلة في هذا الباب أن طفلاً صغيراً ـ وهو ابنٌ لأُم سليم ـ يدعى أبا عُمير كان يلعب بطائر، وحدث بعد حين أن مات هذا الطائر، فحزن أبو عمير لذلك حزناً شديداً وصار يبكي .. فلما أن زارهم رسول الله ﷺ وكثيراً ما كان يزورهم صار يمازح هذا الطفل. وسأورد القصة كما وردت في كتب السنة.

- عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علينا، وكان لي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نُغَرٌ يلعب به، فمات فدخل عليه النبيّ ذات يوم فرآه حزيناً، فقال ﷺ: «ما شأنه؟».

قالوا: مات نُغَرُهُ.

فقال: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟».[1]

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠)، وأبو داود (٤٩٦٩)، والترمذي (٣٣٣-١٩٨٩)، وابن ماجه (٣٧٢٠-٣٧٤٠)، وأحمد ٣/ ١١٦ واللفظ لأبي داود. وجاء في "المختار": [النُّغَرة ـ بوزن الهُمزة ـ واحدة النُّغَر، وهي طير كالعصافير حُمْر المناقير] والنُّغير تصغير النُغَر.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

- وكان ﷺ يتحمل تصرفات الأطفال ويرّحب بها، فإذا سجد وجاء طفل من أسباطه وركب على ظهره تحمّل ذلك وأطال السجود حتى يطيل متعة الطفل بالركوب.

- عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء، وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلّى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها. قال أبي:

فرفعتُ رأسي وإذا الصبيُّ على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي.

فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال النّاس:

يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتّى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك.

قال ﷺ: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتّى يقضي حاجته».[1]

- وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال:

كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يثب

---

(١) رواه النسائي (١١٤١)، وأحمد ٦/ ٤٦٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على ظهره إذا سجد. ففعل ذلك غير مرّة، فقالوا له: والله إنك لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد، فذكر شيئاً ثم قال: «إنّ ابني هذا سيد. وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين».

قال أحد رواة الحديث: فو الله بعد أن ولي لم يُهْرَقْ في خلافته ملء محجمة من دم.(١)

وفي رواية لأحمد: قال أبو بكرة رضي الله عنه:

إنّ رسول الله ﷺ كان يصلي فإذا سجد وثب الحسن على ظهره، وعلى عنقه، فيرفع رسول الله ﷺ رفعاً رفيقاً لئلا يصرع .. قال: فعل ذلك غير مرة، فلما قضى صلاته قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعته. قال: «إنه ريحانتي من الدنيا وإنّ ابني هذا سيد وعسى الله تبارك وتعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٤٤، وفي رواية لأحمد (٥/ ٥١).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

سبق أن ذكرنا بعض المواقف التي كانت في حياة النبيّ ﷺ التي تدل على رحمته الأطفال وعنايته بهم ومراعاته لهم. ونودّ أن نتابع الحديث في ذلك لبيان موقف الإسلام من ذاك الواقع المؤلم، وليكون عرضنا لتلك المواقف النبوية الكريمة دافعاً لنا لاتباعه ﷺ في الإحسان إلى الأطفال ورحمتهم.

- ومن الأحاديث الصحيحة الطريفة التي تدل على احتمال النبيّ تصرفات الأطفال ومداعبتهم وملاطفتهم، أن بنتاً صغيرة جاءت مع أبيها وكان يحملها لصغرها إلى النبيّ ﷺ، فجلست إلى جانبه فلما رأت خاتم النبوّة صارت تلعب به، فزجرها أبوها، فقال له رسول الله ﷺ: «دعها» ثم ألبسها بيده الشريفة خميصة جميلة.

وهذه الطفلة كانت قد قدمت مع أبويها من الحبشة مع المهاجرين الذين عادوا إلى المدينة، فصار النبيّ ﷺ يخاطبها مستعملاً كلمة بالحبشية ليؤانسها، وهذه البنت الصغيرة كان أهلها يكنونها بأم خالد. ولنورد القصة كما جاءت في صحيح البخاري الذي هو أصحُّ كتاب بعد كتاب الله ﷻ. وقبل ذلك يحسن أن نعرّف بخاتم النبوة بإيجاز.

www.alukah.net

جاء في "صحيح البخاري"[١] أنّ خاتم النبوّة بين كتفي النبيّ ﷺ وهو مثل زِرِّ الحَجَلَة.

أقول: و الحَجَلَةُ طائر معروف، والمراد بالزِّرِّ بيضتها.

وجاء في "صحيح مسلم"[٢]: قال جابر بن سَمُرة: رأيت خاتماً في ظهر النبيّ ﷺ كأنه بيضة حمام.

وجاء في «مسند أحمد»[٣] عن عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه قال: ... ورأيت العلامة التي بين كتفيه وهي في طرف نُغْضِ كتفه اليسرى (أي على الكتف) كأنه جُمْع (بمعنى الكفّ المجتمع) وقال[٤] بيده فقبضها، عليه خِيلانٌ كهيئة الثآليل (والخيلان: جمع خال وهو الشامة في الجسد. والثآليل: جمع ثُؤلول وهو هذه الحبة التي تظهر في الجلد كالحمِّصة فما دونها)

وفي رواية «المسند»[٥]: ورأيت على كتفه مثل التفاحة.[٦]

- عن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنه قالت:

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤١)، و أحمد ٦/ ٣٦٤- ٣٦٥، و"فتح الباري" ٦/ ٥١٦.

(٢) رواه مسلم (٢٣٤٤).

(٣) رواه أحمد ٥/ ٨٢.

(٤) أي أشار.

(٥) رواه أحمد ٤/ ١٦٣.

(٦) أنظر "البداية والنهاية" ٨/ ٤٣١- ٤٣٨ طبعة هجر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب
www.alukah.net

www.alukah.net

أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلي قميص أصفر فقال رسول الله ﷺ: «سنه سنه». قال عبد الله أحد رواة الحديث: وهي بالحبشية : حسنة. قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي. فقال رسول الله ﷺ: «دعها» ثم قال رسول الله ﷺ: «أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي» رواه البخاري.(١)

وقوله أبلي وأخلقي من الإبلاء والإخلاق وهما بمعنى قال ابن حجر(٢): والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي أنّه يطول البقاء حتى يبلى الثوب ويَخْلُق.(٣)

ويبدو أنَّ مجيء أم خالد وأبيها إلى النبيّ ﷺ كان باستدعاء منه ﷺ فقد أُتي رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة جميلة، وكان ذلك بعد عودة أسرة أم خالد الطفلة، فرأى رسول الله ﷺ أن يدخل السرور على هذه الأسرة المجاهدة فقال: «ائتوني بأم خالد» وذلك كما جاء في رواية للحديث في البخاري:(٤)

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٣).

(٢) انظر "فتح الباري" ١٠/ ٢٨٠.

(٣) أقول: وما زال الناس في الشام إذا لبس أحدهم ثوباً جديداً يقولون نحو هذه الجملة فيقولون بالعامية: (إن شاء الله بتهرى وبتجدد) يدعون له بطول العمر.

(٤) رواه البخاري (٥٨٤٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

قالت أم خالد بنت خـالد: أُتي رسول الله بثياب فيها خميصة سوداء. فقـال ﷺ: «مَنْ ترون نكسوها هذه الخميصة؟» فأسكت القوم، فقال ﷺ: «ائتوني بأم خالد» فـأُتي بي النبيّ ﷺ فألبسنيها بيده وقال: «أبلي وأخلقي». فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إليَّ ويقول: «يا أم خالد هذا سـنا». والسنا بلغة الحبش: الحسن.

وجـاء في رواية البخـاري[1] أنّ أم خالـد قالـت: قـدمت مـن أرض الحبشة وأنا جويرية (أي: صغيرة) فكسـاني رسـول الله ﷺ خميصـة لهـا أعلام، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الأعلام بيده ويقول: «سناه سناه».

وجـاء في رواية أخرى للبخاري[2] عن أم خالد أنها قالت: أُتي النبـيّ ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة.

فقـال ﷺ: «مَنْ ترون نكسو هذه؟» فسكت القوم، قال ﷺ: «ائتوني بأم خالد» فأُتي بها تُحمل، فأخذ الخميصـة فألبسـها وقـال: «أبـلي وأخلقـي» وكان فيها علم أخضر أو أصفر فقـال: « يا أم خالد هذه سناه».

---

(١) رواه البخاري (٣٨٧٤).

(٢) رواه البخاري (٥٨٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رعاية الاسلام للبنات

وقد كان للبنات نصيب كبير من توصية رسول الله ﷺ بهن، وكان لهنّ نصيب كبير من العناية بهنّ من قِبَلِهِ ﷺ.

أما توصيتُه ﷺ بالبنات فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في هذا المعنى

- فمن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه الآتي:

قالت عائشة رضي الله عنها: دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل. فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتُها إيَّاها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت، فدخل النبيُّ ﷺ فأخبرته فقال:

«من ابُتلي[1] من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهنَّ كنَّ له ستراً من النار»[2] رواه البخاري ومسلم والترمذي وفي لفظ له:

«من ابُتلي بشيء من البنات، فصبر عليهنّ، كنَّ له حجاباً من النار».

وقد تكررت هذه الحادثة مع السيدة عائشة رضي الله عنها ولكن السائلة في هذه المرة وجدت أكثر من تمرة، ولنستمع إلى السيدة عائشة تروي

---

(١) أي اختبر.

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩)، والترمذي (١٩١٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تلك الحادثة:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهن تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال:

« إنَّ الله أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار».[(١)]

- عن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال:

«مَنْ عال جاريتين حتّى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو». وضمَّ أصابعه.[(٢)] رواه مسلم.

ورواه الترمذي[(٣)] بلفظ:

« مَنْ عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها. ورواه ابن حبّان ولفظه: « مَنْ عال ابنتين أو ثلاثاً، أو أختين أو ثلاثاً حتّى يبنَّ ـ أي يتزوجن ـ أو يموت عنهنّ كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وأشار بأصبعه السبابة والتي تليها.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣١).

(٣) رواه الترمذي (١٩١٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

« ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلاّ أدخلتاه الجنة».(١)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« .... ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة، وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صائماً قائماً».(٢)

- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال:

«ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتّى يبنَّ ـ أي يتزوجن ـ أو يمتن إلاّ كنَّ له حجاباً من النار» فقالت امرأة: أو بنتان؟ قال ﷺ: «وبنتان».(٣)

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« مَنْ كانتْ له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان فأحسن صحبتهنَّ واتقى الله فيهنّ فله الجنة». رواه الترمذي واللفظ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٧٠) بإسناد صحيح، وابن حبان (الإحسان) ٧/ ٢٠٧، والحاكم ٤/ ١٧٨.

(٢) رواه البزار، وانظر «الترغيب والترهيب» ٣ / ١٨.

(٣) رواه الطبراني وشواهده كثيرة، وانظر "الترغيب والترهيب" ٣/ ١٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لـه وأبو داود[١] ولفظـه: «... فأدبهنّ وأحسن إليهن وزوجهنّ فلـه الجنـة».

- وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: قـال رسـول الله ﷺ:

«من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده ـ يعني الذكور ـ عليها أدخله الله الجنـة».[٢]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ:

«أنا أول من يفتح باب الجنّة، إلاّ أنّي أرى امرأة تبادرني. فـأقول لهـا: مالك؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتـام لي».[٣]

إنّ هـذه الأحـاديث وما جـاء في معناها، وهو كثير لتدل على هذا الأصل التربوي الذي يوصي الرسـول ﷺ باتبـاعه بشـأن البنـات.

إنّ البنات كـنّ مظلومـات في الجاهليـة مـن مرحلـة الطفولـة، إلى الشيخوخة، فلما جـاء الإسلام قرر لهنَّ حق الحياة وحرم الوأد، ومنـع إهـانتهن، وحـذر مـن تفضـيل الـذكور علـيهنّ، ورغـب بـإكرامهنّ

---

(١) رواه الترمذي (١٩١٢)، وأبو داود (٥١٤٧ -٥١٤٨).

(٢) رواه أبو داود (٥١٤٦)، والحاكم، و"الترغيب والترهيب" ٣/ ١٧-١٨-١٩.

(٣) قال المنذري: رواه أبو يعلى، وإسناده حسن إن شاء الله و"الترغيب والترهيب" ٣/ ١٥٠.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومداعبتهنّ والإحسان إليهن، ووعد من يفعل ذلك من الآباء والأمهات بمرافقته في الجنة. ويا لها من مكافأة عظيمة.

لقد أوصى رسول الله ﷺ بالبنات خيراً، وقد أوردنا عدداً من الأحاديث التي تقرر ذلك وكان ﷺ يكرمهنّ ويحسن إليهنّ، ونود أن نورد أمثلة على ذلك من سلوكه الشريف معهنّ.

ومن ذلك حديث أبي قتادة رضي الله عنه المتفق عليه الآتي:

- عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وأُمامة بت أبي العاص على عاتقه، وهي ابنة زينب رضي الله عنها بنت النبيّ ﷺ، فصلّى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها.(١)

قال ابن حجر: [ومن شفقته ﷺ ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط، فيضعها بالأرض، وكأنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الأرض فتجزع من مفارقته، فيحتاج أن يحملها إذا قام].(٢)

كان ﷺ يفعل ذلك وهو في الصلاة .. يؤم الناس .. ولعلّه كان يفعل ذلك ليرى الناس العناية بالبنات، ورحمته ﷺ لهنّ وإكرامه لهنّ،

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٦)، ومسلم (٥٤٣).

(٢) انظر "فتح الباري" ١٠/ ٤٢٩.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

والنّاس حديثو عهد بالجاهلية التي كان فيها وأد البنات، وكان الناس فيها ينظرون إلى الأنثى نظرة كراهية وازدراء، صوّرتها الآيتان الكريمتان الآتيتان: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

كانت هذه النظرة الظالمة نظرتهم إلى الأنثى .. وجاء رسول الله ﷺ يسدّد لهم تلك النظرة الخاطئة .. يسددها لهم في سلوكه مع البنات عملياً كما رأينا في قصة أمامة .. أين هذا المستوى الرفيع السامي ممّا كان عليه القوم!!

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التوصية بالأيتام

أما إذا كان الطفل يتيماً - وكذا الطفلة من باب أولى- فإننا نرى أنّ النبيّ ﷺ يشدّد في الوصية به ورحمته، والمحافظة على أمواله متبعاً في ذلك ما أنزله الله عليه في الكتاب الكريم من نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]. ومن نحو قوله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

فلا يجوز أن يُقهر اليتيم، والأصل في النهي التحريم، وقد جاء في سورة الماعون أن من أوصاف الذي يكذب بالدين أنه (يدعُّ اليتيم) أي: يدفعه دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً، قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١-٢].

وهدّد الذين يستغلون ضعف اليتيم فيأكلون ماله بالنار يأكلونها في بطونهم وسيصلون السعير فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

ورغب رسول الله ﷺ بكفالة اليتيم ترغيباً عظيماً:

- فعن سهل بن سعد عن النبيّ ﷺ أنه قال:

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

« أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى.[١]

قال ابن بطال : [حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبيّ ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك].[٢]

وسار الصحابة رضي الله عنهم في العناية بالأطفال على هذا النهج السديد، وكذلك سار مَنْ بعدهم من الصالحين المتقين حتى أصبحت رحمة الصغير وملاطفته سمةً من سمات هذه الأمّة.

إنّ صفة الرحمة صفة ملازمة للمسلم لا تنفك عنه مادام متمسكاً بدينه، وهو في ذلك يكون مقتدياً بسيدنا رسول الله ﷺ الذي وصفه ربه تبارك وتعالى بأنه على خلق عظيم، وبأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

لقد كان الرسول ﷺ يقبّل الأطفال .. يشعرهم بالحب والرحمة والحنان .. إنه نبيّ الرحمة، وهو الذي وصفه ربه بأنه ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) رواه البخاري (٥٤٠٣ -٦٠٠٥)، وأبو داود (٥١٥٠)، والترمذي (١٩١٨).

(٢) "فتح الباري" ١٠ / ٤١٦ .

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

قَبَّلَ رسول الله الحسين بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً .. فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لا يرحم لا يرحم».(١)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبيّ ﷺ فقال: تُقبّلون الصبيان؟ فما نقبّلهم.

فقال النبيّ ﷺ: «أَوَ أملك لك أن نزع اللهُ من قلبك الرحمة».(٢)

إنّ تقبيل الطفل أسلوبٌ تربوي يُشعره بالحنان، ويغمره بالرحمة، وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك بقوله: «مَنْ لا يرحم لا يرحم». وبقوله: «أَوَ أملك لك أن نزع اللهُ من قلبك الرحمة».

لا ينبغي أن نهون من شأن هذا اللون من السلوك التربوي الذي هو مظهر من مظاهر عديدة تندرج تحت عنوان الرحمة، أجل لا ينبغي أن نهون من شأنه ونقول: إنّ الطفل لا يدرك ذلك المعنى ولا

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨)، وأحمد ٢/ ٢٦٩، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١١).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧)، وأحمد ٦/ ٧٠.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعيه .. كلا .. بل إنه يدرك ذلك وإن لم يتكلم. والأحاديث الواردة في هذا المعنى فيها ترغيب برحمة الطفل، وترهيب من الجفاء والقسوة. إنّ حاجة الطفل إلى الحنان والرحمة تعدل حاجته إلى الغذاء والدواء.

وللسلوك من الرحمة بالأطفال أو القسوة عليهم تأثيرٌ كبير على طبيعتهم النفسية كما دلّت على ذلك الدراسات العديدة.

لقد كان رسول الله ﷺ رفيقاً بالأطفال يعاشرهم ويمازحهم، ويتحمل ما يصدر منهم ولا يؤاخذهم:

- عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبيّ ﷺ وضع صبياً في حجره، فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه.(١)

ورحمته ﷺ عامة شاملة لم تكن رحمته للأطفال دون الكبار، ولا للكبار دون الصغار، ولا للذكور دون الإناث، ولا للإناث دون الذكور، ولا للفقراء دون الأغنياء، ولا للأغنياء دون الفقراء، ولكنه خصّ الأطفال والنساء والأرقاء واليتامى والضعفاء بمزيد من التوصية بهم. لقد عمت رحمته الخلق جميعاً حتّى البهائم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه البخاري (٦٠٠٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

«بينما رجلٌ يمشي بطريق اشتدّ به العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبُ من العطش مثلَ الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفَّه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له».

قالوا: يا رسول الله إنّ لنا في البهائم أجراً؟

فقال: «في كل كبد رطبة أجر».[1]

وفي رواية للبخاري: «... فشكر الله له، فغفر له فأدخله الجنة».

* * *

(١) رواه البخاري (٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤ -٢٢٤٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ من الرحمة بالطفل الاهتمامَ بتعليمه المعلوماتِ المناسبةَ لسنّه، وتفسيرَ الظواهر التي تحيط به، والإجابةَ عن الأسئلة التي يلقيها على أبويه ولو كانت في بعض الأحيان محرجة، ولتكن الإجابة في هذه الحالة سالكة مسلك الصدق والحكمة على طريقة ما يسمى في علم البلاغة (أسلوب الحكيم) وهو تلقي السائل بغير ما يطلبه تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، وهذا الاهتمام كما ذكرنا من مسؤولية الأبوين، إنهما مطالبان بأن يهيئا للطفل الوسط الذي يعينه على النشأة الصالحة، ليستقبل أمور الحياة المقبلة على أساس سليم وذلك بأن يحرصا على صيانة فطرته، ورعاية نموه الجسمي والنفسي والعقلي والخلقي، وأن يكون ذلك في ظروف طبيعية سوية متفقة مع أحكام الشريعة المطهرة.

إنّ على الأبوين أن يقيما هذا الوسط في البيت، وأن يحرصا على تعهد الطفل في مراحل نشأته بأن تبقى أسس هذا الوسط التي ذكرنا متوافرة له.

ولله درُّ القائل[1]:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وعلى الأسرة أن تهيء الطفل للحياة المدرسية وتنقله برفق من حياة البيت إلى الحياة الاجتماعية المشتركة مع من هم في مثل سنه من

(١) وهو صالح بن عبد القدوس انظر «أقوال مأثورة» ١ / ١٤١ .

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأطفال، ومع الأساتذة والمربين.

والنّاسُ في شأن الاهتمام بأطفالهم على أنواع:

فهناك فريق من الناس ـ من الآباء والأمهات ـ لا يهتم بأطفاله لا قليلاً ولا كثيراً، وعلاقته بهم محصورة في تحقيق مطالبهم المادية، وقد يكون بعض من أفراد هذا الفريق لا يقوى على تحقيق ذلك على الوجه الأتم. وإنه ليؤسفني أن أقول إن هذا الفريق يمثل الشريحة الكبرى في مجتمع المسلمين.

سألت مرة رجلاً من الصالحين الموسرين عن أولاده، فقال: إنهم ولله الحمد بخير، فسألته عن أكبرهم في أي مرحلة دراسية هو؟ فما عرف، ثم سألته عن الآخرين، فألفيته لا يعرف من أحوالهم شيئاً.. هذا رجل صالح موسر غني، فما بال الفقراء المقصرين في أداء الواجبات الدينية؟

وهناك فريق يهتمون بصحة أطفالهم، وبتفوقهم في الدراسة، ولكنهم يهملون الجوانب الأخرى التي تحدثنا عنها. وهؤلاء مقصرون مسيؤون لأبنائهم أعظم التقصير والإساءة.

إنَّ الولد ـ سواء كان ابناً أو بنتاً ـ لو كان صحيح الجسم قويّ البنية، الأول في دراسته، ثم كان من المنحرفين في فكره، وعقيدته، وخلقه سيكون هالكاً إن لم يتب ويرجع إلى الحق. فإهمال أمر الدين

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والخلق والفكر جريمة في حقه. والله سبحانه وتعالى سيسأل الأبوين عما صنعا في تربيته. يقول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».(١)

وهناك قلّة من النّاس واعيةٌ لدورها المهمّ في العناية بالأطفال الذين أكرمها الله بهم، قائمةٌ بواجبها في التربية بجوانبها كلها تستشعر مسؤوليتها نحوهم بين يدي الله ﷻ، ترى الواحد من هذه القلة يهتمّ بأولاده فيرعى صحتهم وتحصيلهم العلمي، ويعمل على تقويم سلوكهم وغرس العقيدة السليمة والأخلاق الحميدة في نفوسهم.

إن الأسرة مطالبة بتكوين الاتجاه الديني عند أولادها، وتعويدهم على آداب السلوك الاجتماعي، وعلى اتصافهم بالفضائل الإسلامية.

يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

* * *

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، و مسلم (١٨٢٩)، وأحمد ٢/ ٥، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥)، والنسائي في الكبرى ٥/ ٣٧٤.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأحب أن أقول أنّ حبّ الأولاد مذكور في تراثنا وسأورد بعض ما جاء فيه وهو كثير كثير. وما زال المسلمون يعنون بأولادهم عناية كبرى.

الأولاد نعمة من الله تبارك وتعالى، وهم كما قال ربنا زينة الحياة الدنيا جعلهم ربنا تحت أيدينا لنقوم نحوهم بما أمر الله ورسوله وننشئهم على حب الله وحب رسوله وحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا لنخرجهم من الظلمات إلى النور وهم أكبادنا تمشي على الأرض كما قال الشاعر حطان بن المعلى:[١]

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض
إن هبت الريح على بعضهم ... تمتنع العين من الغمض

وكما قال أمية بن أبي الصلت: [٢]

إذا ليلة نابتك بالشكوى لم أبت ... لشكواك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني وعيني تمهل

وكما قال أبو خالد القناني:[٣]

لقد زاد الحياة إلي حباً ... بناتي إنهن من الضعاف

---

(١) "أقوال مأثورة" ٣ / ٦٩.

(٢) "أقوال مأثورة" ٤ / ٤١.

(٣) "أقوال مأثورة" ٣ / ٦٨.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحـاذر أن يرين الفقر بعـدي وأن يشربن رنقاً بعد صـــافي
وأن يعرين إن كسي الجواري فتبنوا العين عن كرم عجـاف
أبانـا مـن لنـا إن غبت عنـا وصار الحي بعدك في اختلاف

وكما قـال محمـد بن يسـير:(١)

لولا البنية لم أجـزع من العـدم ولم أجب في الليالي منـدس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمـة يجفـوها ذوا الرحـم
أخشى فظاظة عم أو جفـاء أخ وكنت أخشى عليها من أذى الظلم
إذا تذكـرت بنيتي حين تقربني جـرت لعـــبرة بنـتي عبـرتي بـدم

وكما قـال ابن الرومي:(٢)

وأولادنـا مثل الجـــوارح أيها فقـدناه كان الفاجـع البين الفقد

هكـذا كان حب الأولاد في تراثنـا .. وما يزال هـذا الحب قائماً في واقعنـا المعـاصر.

كم من التضحيات التي نراها من الآباء والأمهات من أجل أولادهم. امرأة تبيع حليها وكل ما تملك من أجل مداواة ولدها، ورجل يعمل ليل نهـار ليوفر لأولاده المـال ليدرسوا وليتزوجوا وليعيشوا في بحبوحـة من العيش .. يبقى في الغربة معظم عمره ليقـدم

---

(١) "أقوال مأثورة" ٣ / ٦٧.

(٢) "أقوال مأثورة" ٣ / ٤٧١.

شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأولاده ما يريدون.

وقد صور هذا الحب والتفاني أحمد حسن الزيات في كلمته التي قالها في ابنه رجاء:[١]

[... فكان عمري يغوص في طوايا العدم قليلاً قليلاً يمدّ عمره بالبقاء كما يغوص أصل الشجرة في الأرض ليمد فروعها بالغذاء. شغل رجاء فراغي كله، وملأ وجودي كله، حتى أصبح شغلي ووجودي فهو صغيراً أنا، وأنا كبيراً هو، يأكل فأشبع، ويشرب فأرتوي وينام فأستريح، ويحلم فتسبح روحي وروحه في إشراق سماوي من الغبطة لا يوصف ولا يحد].

* * *

(١) "أقوال مأثورة" ٣ / ٤٧٧-٤٧٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب
www.alukah.net

من ألوان العدوان على الأطفال

إنّ العدوان على الطفل يتجلى في أمورٍ كثيرة منها ما أشرنا إليه من الظلم والضرب والتجويع وممارسة الفواحش مع هؤلاء الأطفال الأبرياء .. أوردناه موثقاً.

وهناك ألوان من العدوان أخرى:

منها إفساد فطرة هؤلاء الأولاد بأن نتركهم لرفقاء السوء، فيفسدون أخلاقهم، ولدعاة الضلال فيضلونهم ويردوهم.

إنّ الأب الذي لا يقوم بتربية أولاده التربية الإسلامية أب يسيئ إلى نفسه أولاً ثم يسيء إلى ولده أيضاً ثم إلى مجتمعه.

إنّ غرس العقيدة الصحيحة في نفس الطفل أكبر واجب على الوالدين وهما مسؤولان عن ذلك بين يدي الله «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

أعرف رجلاً مثقفاً سألته مرة كيف أنت ؟

قال: أنا مهتم بأولادي أعمل ما وسعني العمل ليكونوا أطباء ومهندسين فيكونوا أثرياء سعداء. فكانوا كما أراد، ولكن هذا المسكين لم يلتفت إلى دينهم ولا إلى أخلاقهم .. فما فعل هذا الأب إلا أن سهل لهم سلوك سبيل النار والعياذ بالله؛ لأنّ المرء إذا خسر دينه وخلقه كان الخاسر حقاً ولو كان من أكبر العلماء ومن أغنى الأثرياء.

وبعـــد

فإني أســـأل الله أن يقـي مجتمعنـا الانحـراف، وأن يحفـظ أبنـــاءنا وبنـاتنا من المعاصي، وأن يرد كيـد الأعـداء في نحورهم، ويعيذنا مـن شرورهم.

إنهم يريـدون أن يبعـدونا عـن ديننـا وعـن أخلاقنـا، وقـد أوتـوا الوسائل المـادية التي يتصورون أنهم بها سيبلغون هدفهم، ولكنهم لـن يصلوا إلى مرادهم، وعلينا أن نعمل كل مـا نسـتطيع، وعلينـا أن نـربي أولادنا ونحصنهم من عوامـل الفسـاد و الإغـواء.

سـدد الله خطـانا على طريق الحـق ووفقنـا إلى ما يرضيـه.

وآخر دعوانـا أن الحمـد لله رب العالمـين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

تقـديم ٥
مقدمـة ٧
تجارة الجنس ٩
عدوان الأهل على الأطفال ١١
جرائم الاعتداء الجنسي والجسدي على الأطفال ٢١
الاعتداءات الجنسـية ٢٤
الاعتداءات الجسـدية ٢٦
أسباب الاعتداء على الأطفال ٢٧
جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال ٢٩
أمثلة على الجرائم ٣٢
واجب المسلمين تجاه أبناءهم ٤٢
ظاهرة الاستغلال الجنسي للأطفال ٤٤
أهم عوامل نشـوء هذه الظاهرة ٤٥
تواضع نتائج المؤتمر ٤٩
العنف ضد الأطفال في الأردن ٥٢
الإسـاءة الجنسـية ٥٤
الإسـاءة العاطفية والنفسية ٥٦
توصيـات النـدوة ٦١
غيض من فيض ٦٢

شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة - قسم الكتب

موقف الإسلام من الطفل ٦٤
ليس منا من لم يرحم صغيرنا ٦٧
المسلم مسؤول عن تربية أولاده ٦٨
رعاية الإسلام للبنات ٧٩
التوصية بالأيتام ٨٥
من ألوان العدوان على الأطفال ٩٦
وبعد ٩٧
الفهرس ٩٩

www.alukah.net

الطفل
بين التربية والعدوان

ردمك: ٥-٦٩-٨٠٩٠-٦٠٣-٩٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب